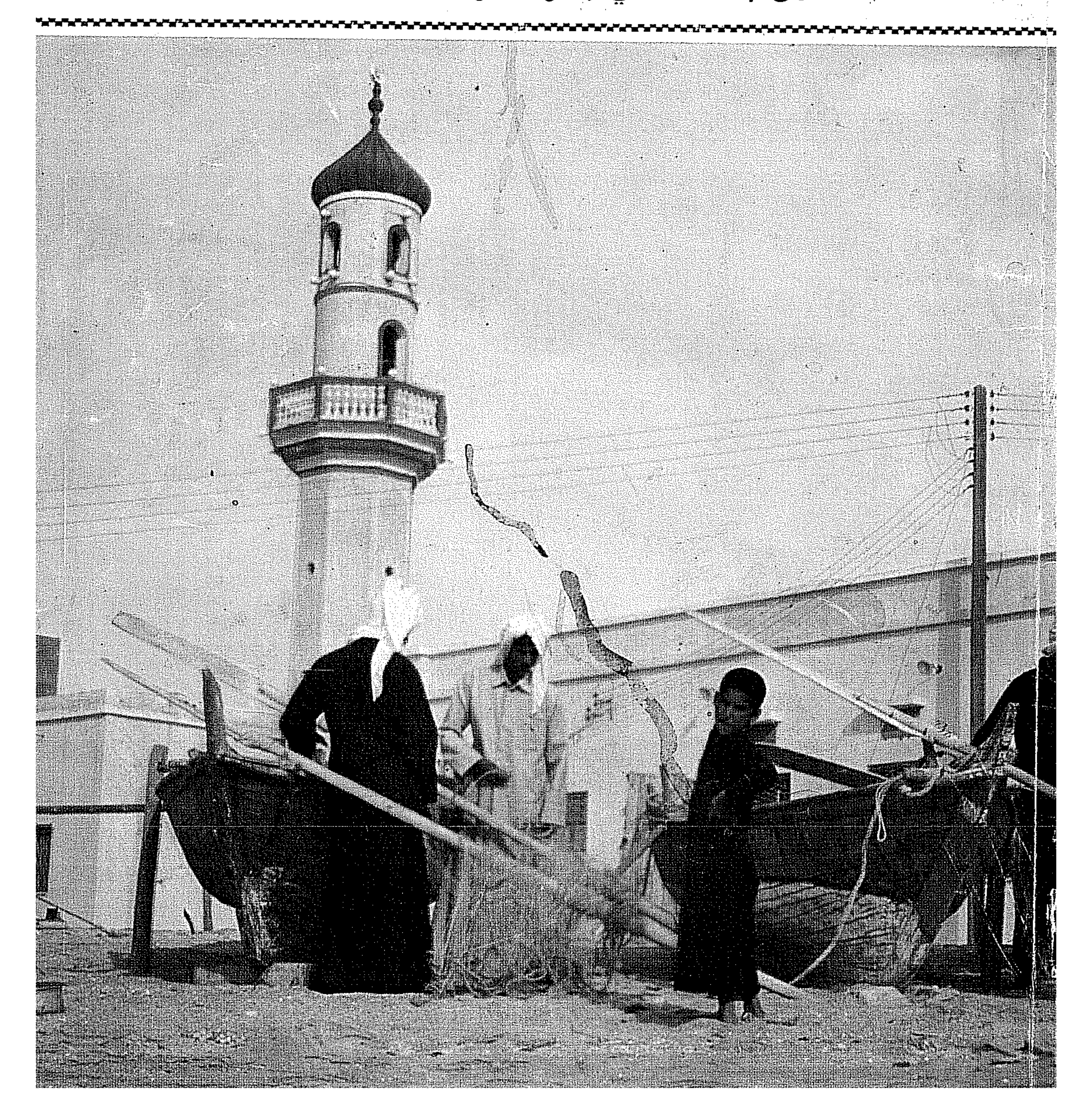
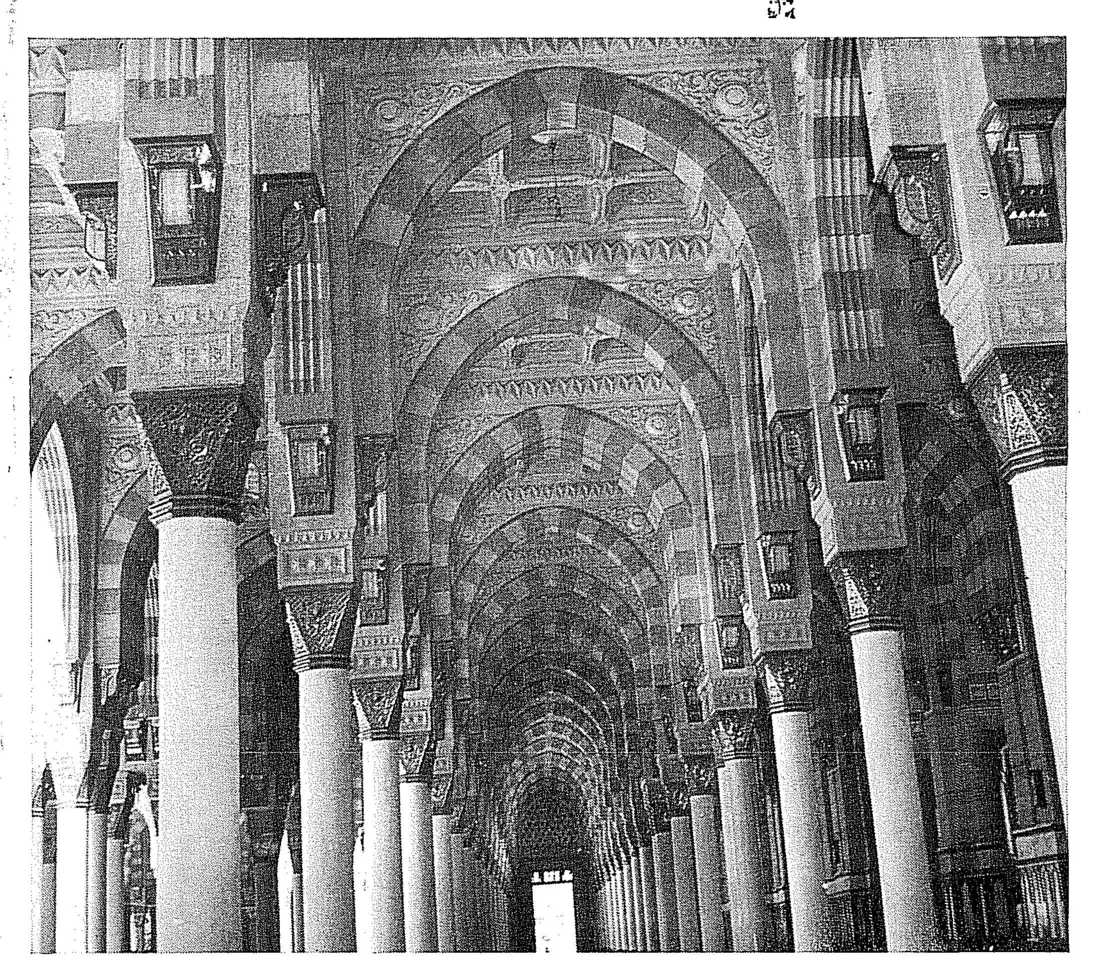
الوعي الإسلامي

شهريّة إسلاميّة ثقافيّة

السنة الاولى * العدد الثاني * غرة صفر ١٣٨٥ هـ - يونيو ١٩٦٥ م



حضارات
اسلامية



فن المعمار فى المسجد النبوي بالمدينة

الوعي الاسلامي

شهرية اسلامية ثقافية

تصدرها وزارة الاوقاف بالكويت
في غرة كل شهر عربي

المجلة حرة ، والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

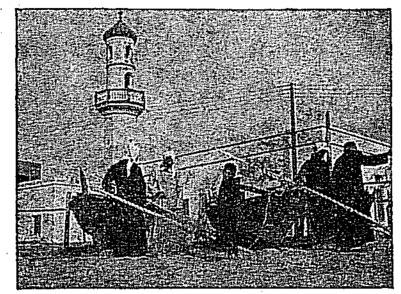
المشرف العام
عبد الرحمن المجحم

رئيس التحرير
عبد المنعم النمر

مدير التحرير
علي عبد المنعم

سكرتير التحرير
رضوان البيلي

صورة الغلاف



المسجد الجامع فى جزيرة فيلكا الكويتية التى تبعد عن الشاطىء ١٥ ميلا . وقد اسس عام ١٣٧٦ هـ ١٩٥٦ م وسكان هذه الجزيرة نحو ثلاثة آلاف يشتغل كثير منهم بالصيد وقد عنيت بها الحكومة فانشأت عدة مدارس ومساجد ومستشفىفيها معكثير منالاصلاحات

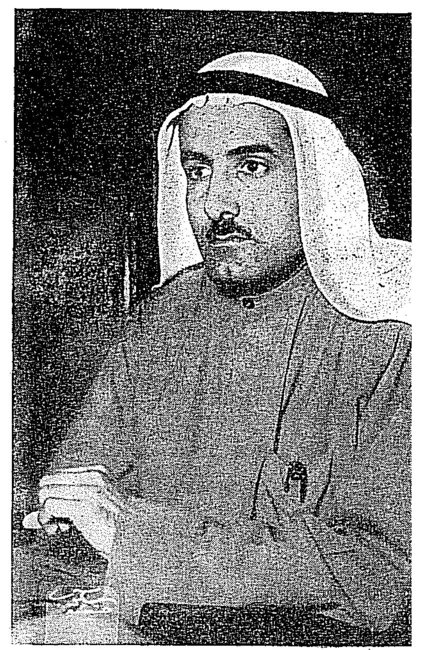
الثمن

الكويت	٥٠ فلسا
السعودية	١ ريال
العراق	٧٥ فلسا
الاردن	٥٠ فلساً
ليبيا	١٠ قروش
المغرب	١ درهم
الخليج العربي	روبية
اليمن وعدن	٧٥ فلسا
لبنان وسوريا	٥٠ قرشا
مصر والسودان	٤٠ مليما
تونس والجزائر	١٠٠ مليم

الاشتراك السنوى

فىالكويت ١ دينار للهيئات ، ٧٥٠ فلسا للافراد
وما يعادل ذلك فى البلاد الاخرى
مع اضافة اجرة البريد
او بالاتفاق مع الموزع مباشرة .

عنوان المراسلات : مجلة الوعي الاسلامي ـ وزارة الاوقاف
الكويت ص . ب ١٣ ـ هاتف ٣٣٨٤٩



هذه سبيلنا

للاستاذ عبد الرحمن المجحم
وكيل الـوزارة
والمشرف العام على المجلـة

باسمك اللهم نفتتح العدد الثاني من ((الوعي الاسلامي)) .

وهي تتقدم اليك ـ عزيزى القارىء ـ فخورة كل الفخر بغايتهـا مملوءة ثقة بربها مؤمنة بتقدير قرائها . واثقة بمعاونتك لها لتظل دائما كما تحبها وتريدها .

وقد كان لنا من اقبالك على العدد الأول اقبالا تجاوز ما كنا نقدره ، أكبر باعث على مضاعفة العمل وبذل الجهد فى سبيل تقدمها ورقيها ، ... وسنسير باذن الله وعون كتابها ومؤازرة قرائها فى الطريق الذى رسمناه لأنفسنا حتى نصل بها الى المنزلة التي نأملها .

و ((الوعي الاسلامي)) وليدة ارادة قوية وعزيمة صادقة تستمـد قوتها وصدقها من ايمانها ورغبتها المخلصة فى خدمة دينها وأمتها ..

ومن أجل هذا الهدف المشترك نوجه نداءنا الى شبابنا الناهض من زملائنا فى أن يساهموا معنا فى وعيهم الاسلامي . ونحن كما نعلم فى أشـد الأوقات احتياجا الى تضافر الجهود ، وتجميع القوى لاصلاح ما فسد من شؤوننا وتقويم ما اعوج من عقائدنا وآرائنا وذلك على هدى من مبادىء الاسلام الذى سار على هديه السلف الصالح حيث كان دينك يا أخي خير دين لأفضل أمـة .



ان الاسلام يريدنا أن نقيم مجتمعا فاضلا متآلفا يؤمن بربه ويحقق السعادة لنفسه وللبشرية جمعاء ولهذا دعا الى ربط القلوب والأرواح برباط الايمان والتفاهم والتعاطف ورسم لنا طريقا واحدا ومبدأ واحدا وأمرنا ان نجاهد فى سبيله لتبقي كلمة الله هي العليا .

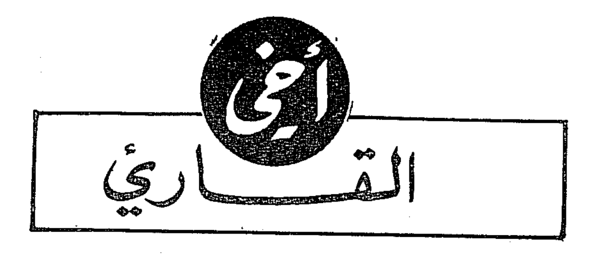
وعلى هذا سارت الأمة الاسلامية فى الصدر الاول فحققت لنفسها ما تصبو اليه من مجد وعز ، وتركت وراءها من التراث الحضارى ما لم تتركه أمة غيرها .

وعلينا ــ نحن الآن ــ أن نجاهد ونعمل لنعيد تاريخ أسلافنا على هدى من نور الله .. وما أشق هذه الرسالة وما أعظم تلك المهمة وخاصة فى هذا العصر . ولكن صعوبة هذه المهمة تهون فى جانب النصر الذى تكفل الله به لعباده المؤمنين العاملين ((وكان حقا علينا نصر المؤمنين)) .

هذه سبيلنا ودعوتنا فى هذا الميدان رسمناها لك عزيزى القارىء لتحمل معنا نصيبك من عبئها وشرف العمل من أجلها وتضع يدك فى يدنا لنعمل جميعا فى سبيل الوصول الى الغاية النبيلة .

والله اسأل أن يجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه اولئك الذين هداهم الله واولئك هم اولو الألباب .

بسم الله الرحمن الرحيم



سلام عليكم

تحية أحس من قلبي أنني مدفوع اليها حينما ألقاك بعد شهر ، تظل فيه كل يوم من أيامه ، بل كل لحظة من لحظاته مالئا علي كل وقتي وتفكيري : كيف ألقاك ؟ وماذا أقول لك وأقدمه اليك ؟ وأنا أعرف فى الوقت نفسه أنك تعيش معي كذلك وتنتظر هذا اللقاء ..

واذا كانوا يقولون ان حماس الجماهير للخطيب يلهب مشاعره فيزداد ابداعا واتقانا ، فان اقبال القراء على المجلة يلهب كذلك نشاط كتابها والقائمين عليها ، ويضاعف من جهودهم ، ليقدموا لك فى كل عدد من خلاصة أفكارهم ما يسرك ويرضيك .

ونحن نحمد الله على أنك استقبلت العدد الاول استقبالا كريما ، أكد ايماننا بالروح الاسلامية الأصيلة لهذا الشعب ، وملأنا ثقة بنتيجة الجهود المبذولة ، والنوايا الخالصة .. أحسسنا ذلك من رسائل عديدة جاءتنا من الكويت والعراق والبحرين ، وامارات الخليج ، ومصر ، وسوريا والأردن ، وليبيا . وكلها تفيض بالشعور الطيب والاستقبال الكريم والأمل المرتجى لمجلتنا الوليدة . ومع اعتزازنا بهذا وتقديرنا له ، فاننا نحب أن نسمع من ذوى الآراء ما يرونه من نقص ، حتى نعمل على تلافيه . أو ما يحبونه من كمال حتى نجاهد فى سبيل الوصول اليه .. «ورحم الله امرأ أهدى الى عيوبي » .

أخي :

من بين الرسائل العديدة التي وصلتنا رسالة من كاتب اسلامي صديق ، رأيت أن أشركك معي فى الاطلاع على بعض ما جاء فيها . —

يقول — « لقد قرأت اليوم بالصحف اعلانكم عن مجلة « الوعي الاسلامي » فقفز له قلبي من الفرح ، أرأيت جيشا محاربا تخذله عوامل كثيرة ، وتتوفر لخصمه عوامل الامداد والتقوية ، واقبال الظروف ؟ ، وفيما هو يعاني كربته لاح فى الأفق فيلق ينادى بندائه ويضرب بسلاحه ذلك كان شعورى حين قرأت الاعلان .

فالماركسية الآن مباحة كفلسفة لا كنظام حكم ، ولا كعقيدة في الالحاد، مباحة كنظريات اقتصادية ذات صلة بالمجتمع ومستقبل البشر . الماركسية على هذا الاعتبار تعرض نفسها الآن بأقلام دارسة هاضمة فاهمة ، لها قدرتها على دراسة اوضاعنا العربية الجديدة من وجهة نظرها .

لقد قرأت في اعلان ((الوعي الاسلامي)) أنها مجلة الثقافة الاسلامية الأصيلة ففرحت ، وقلت لنفسي : لعل صديقي أحس ما نحسه ، فحقق للثقافة الاسلامية الأصيلة على معهوده فيما يكتب ويفهم كتيبة راشدة .. لم أقرأ للآن من موضوعاتها شيئا ولكن ثقتي بفهمك وتحررك من الجمود جعلني أحس النصر من ناحية ((الوعي الاسلامي)) .

تلك ومضات أو جذوات من رسالة صديقي الملتهبة غيرة ورغبة في تجنيد الأقلام الواعية ، لخدمة الثقافة الاسلامية ، كما تنشط أقلام أخرى لخدمة الماركسية والتقدمية ..

وقد دفعني الى أن أقدم اليك هذه الومضات ، أنها تعبر تعبيرا صادقا عما تنفعل به نفسي ، وتتجه اليه رغبتي في أن يكون كتاب المجلة ((كتيبة راشدة)) فعلا كما يقول الصديق .. وأن يوجهوا جهودهم فيما يكتبون الى حماية جيلنا ــ والشباب منه بنوع خاص ــ من غزو الأفكار المستوردة لعقله وقلبه .. وأن يتابعوا فيما يكتبون تطور الأفكار وحاجتها للغذاء المناسب ويتناولوا المشاكل التي نعيش فيها بالدراسة الموضوعية ، ويقللوا ما أمكن الكتابة في الموضوعات التي تناولها الكتاب من عدة سنين ، الا اذا أتوا فيها بجديد يجذب القارىء اليها ، ويضيف الى ثقافته ثقافة جديدة .. ومن أجل هذا قلت في افتتاحية العدد الاول .

((ان القراء يواجهون مشاكل جديدة في حياتهم يريدون رأى الدين فيها ، انهم لم يعودوا يكتفون بتقرير : ان الدين صالح لكل زمان ومكان ، بل يريدون تطبيقا عمليا لهذه الحقيقة التي يؤمنون بها كذلك . والعقلية الجديدة لم تعد تقتنع بأن باب الاجتهاد قد أغلق للأبد ، أو أن الأوائل لم يتركوا للأواخر شيئا كما يقال .. وأصبح الباحثون الاسلاميون يؤمنون بضرورة الاجتهاد ــ ولو بشكل جماعي ــ لمواجهة أساليب الحياة الحديثة ، وتكييفها من الوجهة الدينية .

فأين الاجتهاد اذن ؟ وأين محاولات العلماء المتخصصين لوضع حلول لمشاكلنا الجديدة ، ذلك هو ما أريد أن يحاوله كتابنا ، وما أريد أن أفتح صدر المجلة له ، وأعرضه للمناقشة ، لعلنا نصل بذلك الى خطوة تتبعها خطوات فيما نأمل ونرجو)) .

هذا ما رجوته من كتابنا الأفاضل وأملي كبير في أن يستجيبوا له ..

لا أريد أن يشغلنا الدفاع عن بعض القضايا ، عن الجبهات الاخرى التي يفتحها الأعداء . لقد شغلونا كثيرا بتعدد الزوجات والطلاق ، وما شابه ذلك من القضايا التي ركزنا قوانا للدفاع عنها ، ويخيل لي أنهم يشغلوننا بذلك ، ليلتفوا حولنا ، ويطوقونا من النواحي الأخرى ..

فلنأخذ حذرنا ــ اذن ــ ولنتحرك حتى لا نبقى باستمرار في مواقف الدفاع ، تاركين لغيرنا اختيار مواقع الضرب والهجوم ...

والله مع العاملين ...

رئيس التحرير

هم العدو .. فاحذرهم

قال الله تعالى ((يأيها الذين آمنوالا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون اليهم بالمودة ، وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول واياكم أن تؤمنوا بالله ربكم ، ان كنتم خرجتم جهادا فى سبيلي وابتغاء مرضاتي ، تسرون اليهم بالمودة وانا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل . ان يثقفوكم يكونوا لكم أعداء ويبسطوا اليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء وودوا لو تكفرون . لن تنفعكم ارحامكم ولا أولادكم ، يوم القيامة يفصل بينكم والله بما تعملون بصير)) .

الآيات ١ و ٢ و ٣ من سورة الممتحنة

أخي

فى هذه الأيام التي تمر بنا الآن نحن المسلمين ، ووسط الأحداث والمؤامرات الكبرى ، والتيارات الجارفة التي نتعرض لها ، وفي أوقات المحن التي تمتحن بها عزائمنا وصمودنا ، ويظهر من خلال توهجها معدننا ، وتبرز من بين دخانها معالم شخصيتنا ، ومدى اصرارنا وحرصنا على صنع مستقبلنا ، وفرض وجودنا وهيبتنا .

أقول فى خلال هذا كله ، يحسن بنا أن نرجع الى هدى القرآن الكريم نتفيأ ظلاله ونسير على هداه ، ونتبين على نوره مواقع أقدامنا ، ونستعين به على أعدائنا وأنفسنا ، فان من التمس الهدى فى غيره أضله الله ، ومن تمسك به هُدى الى صراط مستقيم .

نعم اننا فى لجة الأحداث التي تمر بنا ، سواء أكانت من صنع أيدينا أم أيدى أعدائنا ، فى أشد الحاجة الى عون من الله والى رعاية منه تجبر كسرنا ، وتهدى نفوسنا وتطهر قلوبنا ، وتجمعها على محبته ، وبذل الجهد والنفس والنفيس فى طاعته ، حتى يبدل خوفنا أمنا ، وضعفنا قوة ، واختلافنا وحدة ،

وهزيمتنا نصرا ، وذلتنا عزا « ولينصرن الله من ينصره » « وعد الله لا يخلف الله وعده » .

وفى هذه الآيات الكريمة ، وفى آيات كثيرة من القرآن الكريم ، يحدد الله لنا معالم الطريق التي نسلكها مع أعدائنا ، الذين يعتدون علينا ، ويتربصون الدوائر بنا ، ويتحينون الفرص للقضاء علينا ..

أمة لها كيان

ومن الطبيعي أن القرآن الكريم فيما رسمه من خطط ، وما حدده من علاقات لنا مع هؤلاء . انما يريد منا أن نكون أمة تحافظ على كيانها ، وتعمل على تماسكها، حتى تستطيع الدفاع عن نفسها ، ورد كيد المعتدين عليها ، واعزاز دينها وعقيدتها ، وتدعيم هيبتها ومكانتها .. ولم يقصد القرآن شيئا سوى ذلك : من الجور والظلم والاعتداء ، فان الله لا يحب المعتدين .

ونحن نلمس أن كل حي تدفعه طبيعته للدفاع عن نفسه ، وتأمين حياته، فلا عجب اذن ان يشرع القرآن للمسلمين ما يتمشى مع الفطرة الانسانية السليمة ، دون تجاوز لحدود العدل لأن الاسلام هو دين الفطرة البريئة من الشوائب .

ومن أجل هذا نرى الآية الكريمة تبدأ باثارة روح الايمان القوى فى نفوس المؤمنين،فتناديهم بوصفهم الذى يشرفهم. ويحبه الله ويحبونه ((يأيها الذين آمنوا)) وحين يوجه لهم النهي لا يذكره مجردا عن أسبابه بل يذكر دواعيه ودوافعه .. وهي دوافع تثير فى روح كل انسان كوامن الحفاظ على النفس ، وعلى الكرامة ، وعلى الكيان والشرف والعقيدة ..

فما بالك بأناس أصحاب رسالة آمنوا بالله ، وباعوا أنفسهم اليه ، بجنة عرضها السموات والأرض .. وقد علمهم كتابهم أنه لن يصيبهم الا احدى الحسنيين الاستشهاد والجنة أو النصر والغنيمة . ان القرآن الكريم وضع أمام المؤمنين ماضي أعدائهم وهو ماض يفيض بالشر والاعتداء . وهم ـ أعني المسلمين ـ لا يزالون يذكرون ويقاسون كل يوم بل كل لحظة آثاره وعواقبه .. ولكنها الذكرى ، والذكرى تنفع المؤمنين .. كما وضع أمام أعينهم ما لا يزال يملأ قلوب أعدائهم من الحقد عليهم ، والرغبة فى ابادتهم ، حين يظفرون بهم ..

ومن أجل ذلك لا يوجد مبرر أى مبرر لمسلم أى مسلم أن تحمله مطامعه الشخصية على الاتصال بهؤلاء الأعداء وافشاء أسرار المسلمين اليهم ، أو الاقدام على عمل من شأنه أن يقوى جبهتهم ، ويمكن سلطتهم ، أو يمد حبل وجودهم على الأرض ، يمثلون القوة الخطرة على المسلمين وكيانهم ..

هم العدو

(١) فهؤلاء أعداء الله ، المفسدون فى الأرض ، الذين يرفضون الاعتراف بالله الواحد القهار ، ويحاولون اخفات كل صوت يؤمن به ويوحده ، ويخضع لتعاليمه ، وينشر ألوية الحق والعدالة والمساواة ، ويمكن لها فى النفوس..وهم أعداؤكم الذين تفننوا فى ايذاء الرسول وايذائكم ، واستعملوا كل الأساليب الدنيئة للاجهاز عليكم ، وعلى عقيدتكم ،

وحرموكم من الاستقرار بين أهليكم ، وفى أرضكم .. واستولوا على أموالكم ودياركم . ولم يفعلوا ذلك معكم ، لأنكم جناة آثمون مفسدون ، بل ذنبكم الوحيد عندهم أنكم تقولون ربنا الله ، وتنبذون الانحراف معهم الى عبادة الأصنام ، والاعتراف بنظامهم الفاسد فى الحياة ..

وأناس هذا شأنهم مع الله ومعكم ، وموقفهم الصريح الواضح منكم ، لا يجوز لمسلم أن ينسى أو يتناسى ماضيهم، أو يعمل على مناصرتهم والتجسس لهم ، أو تقوم علاقة مودة بينه وبينهم ، أو يكون فى قلبه ميل أى ميل اليهم ان كنتم حقيقة صادقين فى ايمانكم ، وأنكم حين أثرتم الهجرة مع رسول الله ، وضحيتم باستقراركم فى وطنكم ، قد فعلتم ذلك اخلاصا منكم لدينكم ، وايثارا لله ورسوله على ما تحبونه من مال وأهل ومصالح ..

انه منهم

(٢) ومن ينحرف من المسلمين عن هذا الموقف ، ويحاول أن يخدم الأعداء على حساب أمته ومصالحها وكيانها ، فانه يكون قد ضل الطريق المستقيم ، وخرج على صفوف المسلمين « ومن يتولهم منكم فانه منهم ان الله لا يهدى القوم الظالمين » « ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون » « لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ، ومن يفعل ذلك فليس من الله فى شيء الا أن تتقوا منهم تقاة ويحذركم الله نفسه » .

فى الآخرة

(٣) ولتعلموا أن الله مطلع على سرائركم لا تخفى عليه منكم خافية ، ولئن أمن الخائن أن ينكشف أمره للناس فى الدنيا ، ويلقى جزاء خيانته ، أو لم يبال بمصالح الامة واستطاع أن يفلت من حسابها العسير لكان عليه أن يحذر حساب الله له يوم القيامة يوم لا ينفعه مال حصله ، ولا منصب او جاه حماه ، ولا أولاد أو أقارب حملته الشفقة بهم أو الحرص على مصلحتهم على خيانة الله ورسوله والتخلى عن مبادىء دينه وتعاليمه والحاق الضرر بأمته « لن تنفعكم أرحامكم ولا اولادكم . يوم القيامة يفصل بينكم والله بما تعملون بصير » .

فى الدنيا

(٤) على أن المسلم اذا لم يتق الله فى دينه ولا فى أمته ، ولم يخش عقاب الله له على تفريطه وخيانته فليعمل حسابا لمستقبله ومصيره ولا يظن أنه حين يقدم لأعدائه يدا سيحفظونها له أو يردونها اليه ، أو تقل عداوتهم وحقدهم عليه ، يوم يظفرون به ،لأن حنقهم عليكم يجرى فى دمائهم،ولن يرضوا عنكم حتى تستسلموا لهم ، وتسيروا فى ركابهم وتعتنقوا افكارهم .. وهم يتحينون كل فرصة ، ويستعملون كل وسيلة لانزال الضرر بكم ، والقضاء عليكم وعلى دينكم ووطنكم، ويوم يظفرون بكم ، ويتمكنون من رقابكم لا يرحمونكم ، ولا يراعون أية مبادىء انسانية فى معاملتكم ، بل يستذلونكم وينزلون الهوان بكم .. ويقضون على وجودكم ، ويعبثون بعقيدتكم ومقدساتكم « أن يثقفوكم (أى يجدوكم ويظفروا بكم) يكونوا لكم أعداء ويبسطوا اليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء وودوا لو تكفرون ».

فليخش المسلم اذن ما ينتظره هو وأمنه من هوان وذلة فى الدنيا ، ان هو تساهل مع أعدائه ، أو عمل عملا يمكنهم منه ومن جماعته ، ان لم يكن عنده خوف من الله وحسابه يوم القيامة .

وهكذا يقرن الله الحكم بأسبابه ويضع أمام بصائرهم حيثياته ، ليعلموا أن الله لا يكلفهم ما يضرهم ، ولا يحملهم فوق طاقتهم ، ولا ينهاهم عن شيء فيه مصلحة لهم ((يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر)) ، ((ان الله بالناس لرءوف رحيم)) .

السبب حادث تجسس

وأعتقد أن معنى الآيات وهدفها يزدادان وضوحا حين نعرف الحادثة التى نزلت من أجلها . فقد روت كتب السنة بأسانيد صحيحة ان قريشا حين نقضت العهد الذى كان بينها وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واعتدت على حلفائه ، قرر أن يهاجمهم ويقتص منهم ، ويخلص البيت الحرام ، من سيطرتهم ، واصدر أمره بالاستعداد لذلك .. ولكنه أراد أن يعمى الخبر على أعدائه ، حتى يأخذهم على غرة ((والحرب خدعة)) فأعلن أنه يريد التوجه الى خيبر ، ولكن بعض أصحابه كانوا يعلمون نيته ، ومنهم ((حاطب بن أبي بلتعة)) وكان من المهاجرين ، وممن شهد بدرا .

الا أنه كان له بمكة مصالح شخصية ، فعمد الى امرأة من قريش كانت بالمدينة ، فأعطاها وهي راجعة كتابا الى زعماء قريش يخبرهم بعزم الرسول وغادرت المرأة ومعها الكتاب ، فأعلم الله رسوله بأمره ، فأرسل فى أثرها ((عليا والمقداد والزبير)) رضي الله عنهم ، وقال لهم انطلقوا حتى تأتوا ((روضة خاخ)) فان بها امرأة معها كتاب ، فخذوه منها ، فانطلقوا حتى أدركوها ، وطلبوا منها الكتاب فأنكرته ، وأخيرا اضطرت الى اظهاره تحت تهديدهم لها بتفتيشها ، فأخذوه ورجعوا الى رسول الله به .

وانكشف أمر حاطب للرسول والصحابة ، فأرسل الرسول اليه وسأله . ما حملك على ما صنعت ؟ .. فقال معتذرا ومعترفا : يا رسول الله لا تعجل علي ، اني كنت امرأ ملصقا فى قريش ، وكل من معك من المهاجرين لهم أهل وقرابات يحمون أهليهم هناك ، فأحببت ان فاتني ذلك من النسب أن أتخذ عندهم (عند قريش) يدا يحمون بها قرابتي . وما فعلت ذلك كفرا ولا ارتدادا عن ديني ، ولا رضا بالكفر بعد الاسلام .. فقبل الرسول منه عذره وقال : ((لقد صدقكم . لا تقولوا له الا خيرا)) فقال عمر رضي الله عنه . انه قد خان الله ورسوله والمؤمنين ، فدعني فلأضرب عنقه . فقال صلى الله عليه وسلم ((أليس من أهل بدر ؟ لعل الله قد اطلع على أهل بدر ، فقال اعملوا ما شئتم ، فقد غفرت لكم)) فدمعت عينا عمر ، وقال : ((الله ورسوله أعلم)) .

وهذه هي الحادثة التي نزلت من أجلها الآيات ، وهي حادثة يمكن أن نسميها بالتجسس والعمل لحساب الأعداء ، ومع أن الرسول عليه الصلاة والسلام ، قد قبل اعترافه واعتذاره ، وعفا عنه ، تقديرا لماضيه وجهاده فى معركة بدر ، ولم يخل بين عمر الحازم الشديد ، وبين ما يريد ، حتى لا يقال : قتل محمد أصحابه ، ولا سيما بعد اعتذاره وتوبته ،

الا أن الله سبحانه لم يترك هذه الحادثة تمر ، دون أن ينزل فيها قرآنا ينبه المسلمين الى خطر ما قد يقعون فيه من الاتصال بأعدائهم ، وكشف بعض أسرار المسلمين لهم ، مما يعرض الجبهة الاسلامية للانهيار ، والجهود الحربية للفشل ، ليظل ذلك القرآن ماثلا يتردد على ألسنتهم ، ويملأ قلوبهم الى يوم القيامة ، محددا ما يجب أن تكون عليه العلاقة بين المسلمين وبين أعدائهم المحاربين لهم ..

آيات متشابهة

وفي القرآن الكريم آيات كثيرة مشابهة لهذه الآية ، وكلها تركز على نهي المسلمين عن الاتصال بالأعداء ، أو الثقة بهم،واتخاذ الأولياءوالاصفياءمنهم،حفاظا على وحدة الصفوف والمصالح الاسلامية **((يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم ، لا يألونكم خبالا ، ودوا ما عنتم ، قد بدت البغضاء من أفواههم ، وما تخفي صدورهم أكبر))** ١١٨ آل عمران .

((يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم واخوانكم أولياء ان استحبوا الكفر على الايمان ومن يتولهم منكم فاولئك هم الظالمون)) ٢٣ التوبة .

((لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياءمن دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله فى شيء ..)) ٢٨ آل عمران .

((يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء)) ٥٧ المائدة .

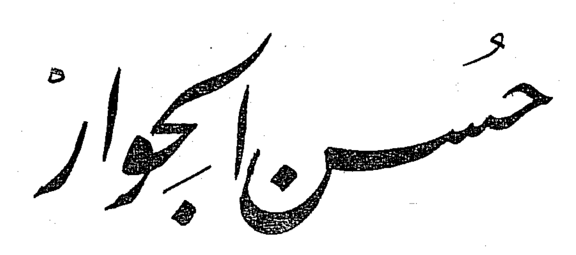
وقد بين الله معنى كلمة ((أولياء)) فى سورة المتحنة بقوله ((تلقون اليهم بالمودة)) و ((تسرون اليهم بالمودة)) ويعبر القرآن عن هذا فى آية أخرى من سورة المجادلة فيقول ((لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو ابناءهمأو اخوانهمأو عشيرتهم..)) ومعنى ((يوادون)) ينشئون علاقات مودة معهم تستتبع حتما افشاء أسرار المسلمين اليهم ولا شك أن وجود أناس فى صفوف المسلمين تربطهم بالأعداء علاقة مودة،أمر يكسر الجبهة الاسلامية ، ويعرضها للانهيار وفي هذا من الخطر ما يجب تلافيه ، والقضاء على أسبابه ودواعيه .

والاسلام لم يتجن بتشريعه هذا الحكم ، ولم يقرره لمجرد أن هؤلاء لا يدينون بدين الاسلام ، بل لأنهم أعداء محاربون ، لا يرقبون فى مؤمن الا ولا ذمة، يسخرون بالاسلام ورسوله وكتابه ، ويجندون القوى لحربه ، والقضاء عليه ، وعلى أتباعه ، ماديا ومعنويا ، فلا بد من معاملتهم بالمثل : معاملة الأعداء . سواء أكانوا مشركين ، ام من أهل الكتب السابقة من اليهود والنصارى .. لا ننظر اليهم الا من خلال نظرتهم لنا ، وعملهم ضدنا .. وذلك هو ما تسير عليه كل الدول التي تحافظ على كيانها . شرعة الانصاف والعدل : المعاملة بالمثل ..

والمسلمون أمة واحدة يسعى بذمتهم أدناهم ، وهم يد على من سواهم ، وقديما صاحت مسلمة مجهولة على حدود الروم ((وامعتصماه)) فهزت الخليفة فى بغداد ، وحركت الجيش الى

البقية على ص : ٦٣

من هدى السنة





حسن الجوار

لفضيلة الشيخ علي عبد المنعم

مدير تحرير « الوعي الاسلامي »
ورئيس قسم الثقافة الاسلامية بوزارة الاوقاف

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
ما زال جبريل يوصيني بالجار
حتى ظننت انه سيورثه

ـ تمهيد ـ

١ ـ تدور عجلة الزمان دون توقف ،ويتعاقب الملوان فى حركة دائبة ، وتمضي الأيام الى غايتها المحتومة ، ونهايتها التي لاتستطيع التخلف عن بلوغها ، تلك سنة الله فى الكائنات ولن تجد لسنة الله تبديلا .

ومرور الليل والنهار ينسى ، وبه تتضاءل حيوية الأشياء بعد قوة ، وتذبل بعد نضارة ، وتضعف بعد شدة ، وقد تتلاشى فتصبح أثرا بعد عين ، وتصير ذكريات تخلف الحقائق ، وأوهاما عابرة تلي وعيا راشدا .

٢ ـ وقد مرت بالمسلمين أربعة عشر قرنا الا خمسة عشر عاما منذ أن أشرقت على الوجود شمس الرسالة المحمدية باذن ربها ، وشرعت تمسح بريشة أشعتها الذهبية جبين الحياة المكتئب ، فتنقشع ظلامه ، وتبيد آلامه ، وتقضي على علله وأدوائه، وتضع حدا لحيرة الانسانية البادية فى آراء فلاسفتها ومفكريها ، وتصيح بهم ((يأيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم ..)) (١)

وحملت الأمانة ـ فى أول عهدها بالوجود ـ نفوس قوية ، وقلوب فتية ، بثتها فى وضوح وجلاء ، وطبقتها فى حزم وقوة ، وعضت عليها بالنواجذ ، فأرست أحكامها نظاما متكاملا ، سعد به كل مكان يمكن أن يوجد فيه انسان ، ... وكمال الشريعة الاسلامية كمال يأخذ بالألباب ، ويستولى على مجامع القلوب ، ولا غرو فمصدرها العليم بكل ما دق وما جل .. « ذلكم الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شيء فاعبدوه ، وهو على كل شيء وكيل » (٢) .

---

(١) الآية ٢٤ ـ من سورة الانفال

(٢) الآية ١٠٢ ـ من سورة الأنعام

٣ ــ ... ولكن ــ ما أقسى الاستدراك ها هنا ــ ... منذ أمد طويل وأعداء الانسانية يكيدون لها محاولين اخماد جذوة الاسلام بتناوش المسلمين من بعيد ، وسلكوا معهم مسلك الخفاش الذى يقال انه يهبط على النائم فيتغذى بدمه ، حتى اذا شعر بآلام الامتصاص وبدأ يصحو ، حرك الخفاش أجنحته يجلب للنائم الهواء الذى يعود به الى سبات عميق ثم يتركه ويختفي .. ، وهكذا استطاعوا تنحية الاسلام عن ميادين الحياة العملية ... وطال الرقاد ... ولم يبق من نور الشريعة الغراء الا أضواء خافتة تتراءى بين الفينة والفينة هنا وهناك ، وأظلمت دنيا المسلمين من حولهم واكفهرت أجواؤهم ، وأصبحوا يتخبطون على غير هدى ... « نسوا الله فأنساهم أنفسهم » فساروا وراء عدوهم الكاشح يتلمسون طريقهم على ضوء ما يريد هو ، فأودى بهم وأرداهم ، وصدق فيهم قول الله تبارك وتعالى .. « .. فى قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا .. » .. وكان من أسباب مرض القلوب الجهل والنفاق والشك والارتياب والحسد والضغينة الى غير ذلك مما يفسد الاعتقاد والاخلاق ويدع أحكام العقل فى اضطراب ...

٤ ــ واليوم ــ وقد أخذت أحوال المسلمين تتحول الى الاتجاه الصحيح ، وأخذوا يفيقون على قرع الحوادث فى المناطق التي يعيشون فيها ــ لا بد لنا من جولة حاسمة نثبت فيها وجودنا ، ونبدؤها باصلاح أنفسنا على ضوء تعاليم قرآننا وهدى نبينا ، حتى نمحو ما ران على القلوب لطول ما بعدت عن مرامى الاسلام وأغراضه ــ وحقا ــ لا يصلح آخر هذه الأمة الا بما صلح به أولها ... فاذا تكون المؤمن القوى ، وزحفت الى مجتمعاتنا طلائع الشباب المسلم الفتي ، أمكننا أن نقف صفا واحدا يتقدم جموع الدنيا الحاشدة برسالة السماء فيقودها الى ما يسعدها ويحول بينها وبين ما يشقيها ..

٥ ــ وحين نحاول اماطة الأذى من طريق الاسلام ليسير الركب ، ويمضي قدما فلا نجد خيرا من توجيهات رسوله الأمين المتمثلة فى سنته الشريفة بعد هداية القرآن العظيم ، ... وتربية الفرد المسلم تربية واعية ، وأخذه بوحي الله يغنيه عن التلفت الى سراب الغرب والشرق ... وحديث واحد من أحاديث رسول الله لو فهم كما يجب أن يفهم ، وطبق كما يحق له أن يطبق ، لكان أجدى على الدنيا من محاولات المفكرين والمصلحين الذين يعتمدون على تجارب تخطىء وتصيب ، وقواعد يهزها ضعف البشر وقصورهم ..

مع رسول الله صلى الله عليه وسلم

ولنتأمل كيف وضع رسول الله للمجتمع الاسلامي نظامه ، ولنلمس جانبا واحدا من جوانب متعددة ، تقوى روابط هذا المجتمع ، وتضم صفوفه بعضها الى بعض ، وتوحد اتجاهاته الخيرة وتدعمها .. ذلكم الجانب هو **حسن الجوار .**

١ ــ والجوار ضرب من ضروب القرابة، فهو قرب بالمكان والمسكن ، واندماج فى الطريق والعمل ، وقد تقوى وتشتد رابطة المرء بجاره أكثر مما تقوى وتشتد

بمن جمعه به نسب واحد ، والأمة الاسلامية عند الشارع الحكيم أسرة مترابطة الأفراد ترابطا لا تنفصم له عروة ، ولا تنفك معه لحمة ، والتعاون فى الحياة ينير دياجيرها ، ويفتح مغلقها ، ويعين على قطع مفاوزها ، وكل ذلك يثمر مدنية فاضلة وأمنا وسعادة ، وتراحما ومودة .

٢ ــ والاسلام لم يدع شيئا يحقق التعاون الكريم المنتج النافع الا حث عليه ووكده وجعله من صلب الدعوة وأسسها ، ولهذا ، حث كثيرا على حسن الجوار وعمل جاهدا على توثيق العلائق الكريمة بين الجيران فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه الشيخان « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحسن الى جاره » وجعل الاحسان الى الجار دليلا على صدق الايمان وكماله فقال عليه السلام « لا يؤمن عبد حتى يأمن جاره بوائقه » فلا يتم الايمان حتى يتحقق هذا الشرط ، وهذا أمر له منتهى الخطورة فى حياة كل امرىء مسلم ، اذ الايمان غاية كل متدين ، وعلى مقدار ثباته ورسوخه يتوقف استحقاقه للكرامة فى الدنيا والآخرة ، فاذا توقف ذلك على كف الأذى عن الجار وعلى السعي فى ايصال الخير اليه سارع كل من آمن بالله ورسله واليوم الآخر الى تحقيق هذا الشرط فى أعماله وأقواله .

القرآن والجار

أمر الله سبحانه وتعالى عباده بتوحيده، والاحسان الى الوالدين وذوى القربى واليتامى والمساكين ، ثم أدرج مع هؤلاء فى وجوب الاحسان اليهم ، الجار ذا القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب .. فقال سبحانه « واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا ، وبالوالدين احسانا ، وبذى القربى ، واليتامى ، والمساكين ، والجار ذى القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب ... » (١) .

والجار ذو القربى هو الذى يدلى مع جواره بصلة القرابة القريبة ، والجار الجنب هو الذى تربطك به قرابة بعيدة والصاحب بالجنب هو رفيق السفر أو المنقطع الى صاحبه المؤمل فى فضله .

وتختم الآية الكريمة بالنهي عن الكبر والخيلاء والتفاخر ، لأن الفخور المتكبر المختال حقير عند الله ممقوت عند الناس ، لأنه لا يقوم بعبادة ربه ولا يلين قلبه لذوى قرباه ولا لجيرانه ، وانما المتوقع منه الاساءة وكفران النعمة ، ولذلك قال الرسول صلى الله عليه وسلم « لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرة من كبر ، (٢) فقال رجل : ان الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنة ، فقال عليه السلام : ان الله جميل يحب الجمال ، الكبر بطر الحق (٣) وغمض الناس (٤) » .

موقف الاسلام من الجار غير المسلم

فى الاثر أن الجيران ثلاثة أقسام

---

(١) الآية ٣٦ من سورة النساء

(٢) بطر الحق ــ رده وعدم قبوله .

(٣) غمض الناس ــ احتقارهم وازدراؤهم رواه أبو داود والترمذى عن ابن مسعود .

« جار له حق واحد ، وجار له حقان ، وجار له ثلاثة حقوق .

فالجار الذى له ثلاثة حقوق هو الجار المسلم ذو الرحم فله حق الاسلام وحق القرابة ، وحق الجوار . والذى له حقان هو الجار المسلم ، فله حق الاسلام وحق الجوار ، وصاحب الحق الواحد هو الجار غير المسلم فله حق الجوار فقط ، وأعظم به من حق (١) .

وقد حث الاسلام على مبادلة أهل الكتاب بالزيارة ، ومشاركتهم فى أفراحهم وأتراحهم ، وأباح الاكل من طعامهم ومصاهرتهم ، وورد معظم ذلك فى محكم القرآن الكريم .. قال الله تبارك وتعالى « اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ... » (٢) وقد ورد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عاد ابن جاره الكتابي حين مرض ، وذبح ابن عمر شاة فجعل يقول لغلامه أهديت الى جارنا الكتابى ؟ ، أهديت الى جارنا الكتابي ؟ فقال الغلام كيف تقول هذا ؟ فقال ابن عمر رضي الله عنهما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه » (٣) ولم يخصص الجار بالمسلم بل أطلقه فشمل الاحسان الى كل جار مهما كانت عقيدته ونحلته .

نماذج من حقوق الجار

روى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « أتدرون ما حق الجار ؟ : ان استعان بك أعنته ، وان استنصرك نصرته ، وان استقرضك أقرضته ، وان افتقر عدت عليه (أى واسيته بمالك) . وان مرض عدته (أى زرته) ، وان مات تبعت جنازته ، وان أصابه خير هنأته ، وان أصابته مصيبة عزيته ، ولا تستطل عليه بالبناء فتحجب عنه الريح الا باذنه ، ولا تؤذه بقتار قدرك الا أن تغرف له منها،وان اشتريت فاكهة فاهد له فان لم تفعل ، فأدخلها سرا ، ولا يخرج بها ولدك ليغيظ بها ولده » .

فانظر رعاك الله أيها المسلم الذى غفل عن حقيقة دينه واتبع هواه حتى داهمته مدنية فاجرة قطعت الاواصر ، وفككت الروابط ، وفرقت المجتمع ، وكادت تأتى على كل الفضائل الانسانية فى غيبة التشريع الاسلامي القويم ، وتأمل كيف أقام الاسلام علاقات الجوار ، وكيف وطدها ، وبسط القول فيها حتى جعل الجار شريكا فى كل خير مادى وروحي وأدبي ، وهكذا يستل الاسلام بتوجيهه السديد سخائم النفوس ويمكن للتراحم والتعاطف بين الناس جميعا .

---

(١) أخرجه البزار فى مسنده
(٢) الآية ٥ من سورة المائدة
(٣) رواه البخارى

مثل" اسلامية عملية تطبيقية

١ ـ تحرى هذا الأدب الكريم المسلمون الأوائل فكانوا يتحرجون من مقابلة أذى جيرانهم بمثله ، جاء رجل الى ابن مسعود رضي الله عنه فقال : ان لي جارا يؤذيني ويسبني ويضيق علي ! فماذا أصنع معه ؟ فأجابه ابن مسعود : ان هو عصى الله فيك فأطع الله فيه ، ولم يشر عليه بالانتصاف لنفسه ، فلعل التغابي عن أذى الجار يحمله على الندم والارعواء .. يقول الله تبارك وتعالى « ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتى هي أحسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم » .. ولو قوبلت كل اساءة بمثلها لتصدع بناء المجتمع وسرى فيه الوهن والانحلال ، ولهذا كان حصر الخلاف فى دائرة ضيقة أولى من تركه يستشرى ويتسع نطاقه .

٢ ـ بلغ عبد الله بن المقفع أن جارا له شرع يبيع داره فى دين لزمه ، وكان من عادة ابن المقفع أن يجلس فى ظل دار جاره هذا ، فلما تحقق الخبر قال : ما قمت اذن بحرمة ظل دار جارى ان باعها لفقره وعدمه وحاجته وأنا أستطيع حفظها عليه : وبادر من فوره الى دفع الدين وأبقى الدار لصاحبها .

الخلاصة

ونخلص بعد استعراض الآيات والأحاديث والآثار التى مرت آنفا الى النتائج الآتية .

١ ـ أن مرور القرون المتطاولة والمسلمون يرزحون تحت نير الاستعمار أبعد الشريعة الغراء ـ نصا وروحا ـ عن مسرح حياة المسلمين فلم يعد لتعاليمها أثر لا فى البيت ولا فى المدرسة ولا فى المحكمة ولا فى السوق بل غفلوا غفلة تامة عن فهمها وادراكها وولوا وجوههم شطر ثقافة دخيلة ماكرة مجرمة لا يراد بها الا مزيد من حبس الاسلام فى قماقم محكمة الاغلاق .

٢ ـ أنه عندما تفتح هذه المغاليق وتعود تعاليم الاسلام الى مسرح الحياة وتطبق أحكامه ، يوجد المجتمع المثالي الذى تنشده الانسانية الفاضلة ، والذى لبث الفلاسفة والمفكرون يحلمون به دهرا طويلا .

٣ ـ أن أهم ما يساعد على تفهم حقائق الاسلام هو حسن عرضها بالصورة والأسلوب اللذين يناسبان العصر ، وما أحسنها لو عرضت مقارنة حتى يتسنى للناشئة ـ معرفة الغث من السمين وتبين النافعمن الضار ، وحينئذ يميز الله الخبيث من الطيب ويسفر الصبح لذى عينين .

والله الموفق والمستعان ،،،

* * *

المبادئ المثالية التي تضمنتها

عبقرية الاسلام هي ذلك الاشراق الالهي الذي انبثق من غار حراء ، فكشف للرسول - صلوات الله وسلامه عليه - عن أطوار النفس البشرية فى طوايا الغيب ، فدعا دعوته الخالدة الى تكريم الانسان ، وتنظيم العمران ، وتعميم الخير ، وتحقيق السعادة من طريق التوحيد والمؤاخاة ، والمساواة والحرية والسلام .

فالتوحيد سبيل القوة ، والمؤاخاة سبيل التعاون ، والمساواة سبيل العدل ، والحرية سبيل الكرامة ، والسلام سبيل الرخاء ، وتلك هي الغايات التي ترجو الانسانية بلوغها عن طريق العلم والمدنية ، فلا تتكشف امانيها بعد طول السرى وفرط اللغوب الا عن سحاب خلب ، وسراب خادع .

هذه المبادىء المثالية التي تضمنتها دعوة الاسلام ، معلومة من القرآن بالنصوص الصريحة ، فلا موضع فيها لتأويل أو تحميل أو تعسف .

فالتوحيد ركن من أركان الدين وعنوان من عناوينه ، وهو من الكلم الجوامع التي وعت جوهر الاصلاح وسر النجاح لكل مجتمع وأمة ، وهو توحيد الله ، وتوحيد العقيدة ، وتوحيد الغاية ، وتوحيد اللغة ، وتوحيد الحكم ، وتوحيد التشريع ، وتوحيد الدين والدنيا ، وشواهد التوحيد مذكورة فى كتاب الله لا يختلف فى مدلولها أحد .

وفكرة الوحدة الانسانية هي مزية الدعوة المحمدية على كل دعوة ، وفى سبيلها صدق الاسلام بكل دين أنزل ، وبكل نبي أرسل ودعا الذين فرقوا دينهم ، وكانوا شيعا الى خطة واحدة وكلمة سواء ، ثم وصل الدين بالدنيا ، وكانت اليهودية والنصرانية تفصلان بينهما ، فالأولى كان همها الصفق والاجتراح ، والأخرى كان سبيلها الرهبانية والتنسك ، ولكن الاسلام جعل الدين للدنيا كالروح للجسد ، فلا تعمل الا بوحيه ، ولا تسير الا بهديه ، ثم آخى بين المؤمنين ، ليجتمعوا على صدق المودة ويتعاونوا على لأواء العيش ، فلا يبغى قوي ، ولا يبخل غني ، ولا يظلم متسلط .

بدأ ذلك بالتأليف بين الأوس والخزرج ، والمؤاخاة بين الأنصار والمهاجرين ، ثم توثقت عرى الاخاء بين المجاهدين فى سبيل الله حتى صار المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا ، وأصبح هؤلاء القلال الضعاف فى بضع سنين أئمة للناس وورثة لكسرى وقيصر .

كذلك فى سبيل الوحدة الانسانية والأخوة الاسلامية ، فرض الاسلام الزكاة وشرع الحج ، وأمر بالاحسان والبر ، ثم سوى بين الناس على اختلاف

دعوة الاسلام

بقلم أحمد حسن الزيات

السنتهم وألوانهم فى الحقوق والواجبات بمحو العصبية الوطنية ، وقتل النعرة الجنسية ، وجعل التقديم والتكريم للتقوى ، فقال الرسول الكريم فى خطبة الوداع :

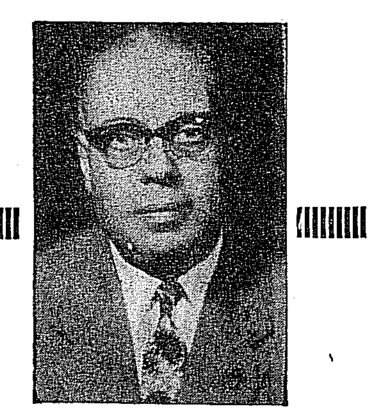
« ان ربكم واحد ، وان اباكم واحد ، كلكم لآدم وآدم من تراب ، ان اكرمكم عند الله أتقاكم ، لا فضل لعربي على عجمي الا بالتقوى » .

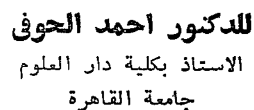
المسلمون وحدهم هم الذين يفهمون الانسان بمعناه الصحيح ، لأنهم أتباع محمد ، ومحمد وحده هو الذى أعلن حقوق الانسان بهذا المعنى لأنه رسول الله ، والله وحده هو الذى ألهم رسوله هذه الحقوق لأنه أرسله رحمة للعالمين كافة .. أرسله رحمة للذين استضعفوا فى الأرض لقلة المال كالمساكين ، أو لفقد العشير كالموالي ، أو لضعف النصير كالأرقاء ، أو لطبيعة الخلقة كالنساء ، فكفل الرزق للفقير بالزكاة ، وضمن العز للذليل بالعدل ، ويسر الحرية للرقيق بالعتق ، وأعطى الحق للمرأة بالمساواة .

والمستضعفون الذين رحمهم الله برسالته ممن لم يكونوا من جنس مبين ، ولا من وطن معين ، انما كانوا أمة من أشتات الخلق ، وأنحاء الأرض ، اجتمع فيها العربي والفارسي ، والرومي والتركي ، والهندى والصيني ، والبربرى والحبشي ـ على شرع واحد هوالاسلام، وتحت تاج واحد هو الخلافة ، والاسلام الذى يقول شارعه العظيم « ولقد كرمنا بني آدم » لم يخص بالتكريم لونا دون لون ، ولا طبقة دون طبقة ، انما ربأ ببني آدم جميعا أن يسجدوا لحجر أو شجر أو حيوان ، وأن يخضعوا مكرهين لجبروت كاهن أو سلطان .

وفى هذه الأصول الاسلامية ـ كما ترى ـ أفضل ما فى الديمقراطية، وأجمل ما فى المدنية ، فهي حرية أن تصلح ما فسد من أمور الناس ، وتقيم ما اعوج من نظام الدنيا . ولقد كانت كذلك يوم كان لحملتها دولة ، ولدعاتها صوت ، ولمعتنقيها يقين ، فلما دالت الدولة وخشع الصوت ، وأراب اليقين ، تمزق المسلمون قطعانا فى فدافد الأرض ، لا مرعى يجود ، ولا راع يذود ، ولا حظيرة تؤوى ، ثم كانوا بتخلفهم عن ركب الحياة حجة على الاسلام فى رأى السفهاء من مرضى الهوى أو الجهل ، فصموا عن دعائه ، وعموا عن ضيائه ، فليت شعرى متى يتاح لدعوة محمد من يجدد حبلها وينشر فضلها ، ويقول لأولئك الذين يحاولون أن يرفعوا قواعد العالم على أساس جديد ((قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين ، يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ، ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ، ويهديهم الى صراط مستقيم)) .

الايمان بالقضاء قوة دافعة





للدكتور احمد الحوفى
الاستاذ بكلية دار العلوم
جامعة القاهرة

ليس من شك فى أن موضوع القضاء والقدر مشكلة قديمة غامضة ، شغلت كثيرا من المفكرين على اختلاف أديانهم وتباين منازعهم ، ولم يهتد أحد الى رأى حاسم فيها، تطمئن اليه النفوس جميعا.

ولست أزعم انني فى هذه العجالة سأبلغ ما لم يبلغه السابقون ، ولا أني سأعرض المشكلة كلها ، واناقش الآراء المتشعبة فيها ، بل اني ساقتصر على دفع الفرية التي افتراها علينا ـ نحن المسلمين ـ فريق من أعدائنا ، اذ زعموا ان تخلفنا الاخير راجع الى عقيدتنا فى القضاء والقدر .

ويقتضيني الموضوع أن أمهد بكلمة عما نريده بعلم الله تعالى ، لتكون اساسا فى دراسة المشكلة ، وفى دفع الفرية .

علم الله وعلم البشر

أرأيت الى المهندس الذى اخترع آلة استقل بصنعها ، كيف يعلم تفاصيل اجزائها ، وكيف يعلم طريقة عملها وسيرها ، ويعرف مقدار قوتها ومدى صلاحيتها ؟

أرأيت الى صانعى الاقمار الصناعية والصواريخ الدوارة والموجهة كيف يعلمون علم اليقين اتجاهها وسرعتها والمناطق التي ستمر بها ،ويحددون أزمان مرورها على المدن والاصقاع ، وكيف يعرفون ما يشبه ذلك معرفة دقيقة يندر أن يتخلف شيء منها ؟

فكيف ينكر عاقل ان الله سبحانه وتعالى وهو الخلاق العظيم والبصير العليم يعزب عن علمه مثقال ذرة فى السماوات او فى الارض ؟

فلا عجب اذن فى أننا نعتقد اعتقادا جازما أن بارىء الكون ورب الكاشفين والمخترعين يعلم علما لا يتغير ، ويقدر تقديرا لا يتبدل .

واذا كان من صفات علم الانسان أنه

« القضـاء والقدر وصلتهما بحرية الانسان موضوع ثار الجدل حولـه بـين الكتاب والباحثين ، ولم يصلوا الى نقطـة حاسـمة يقف عندهـا الجميع .. وكثيرا ما قرأنا وسـمعنا شبها يرددها أعداء الاسلام يريدون أن يلصقوا بالايمان بالقضاء والقدر تهمـة تخلف المسلمين .. ومـع أنها تهمـة زائفة ينسفها تاريخ المسـلمين الاول وما صنعه الاسلام الحق من حضـارة ومجد ، الا أننا لا نزال فى حاجـة الى تجلية الغبار عن هذا الموضوع وعرضه عرضا يتفق مع الفهم الصحيح له ليكون قوة دافعة . ومع أنه موضوع شائك كما نعرف الا أن الاستاذ الفاضل الدكتور الحوفى اختار أن يرتاد لقرائنا هـذا الطريق » .

« الوعى الاسلامي »

محدود قاصر فان من صفات علم الله انه لا حدود له ولا قصور فيه ، لانه العلم الكامل الشامل .

كذلك يتصف العلم الانساني بأنه لا يتعلق الا بالاشياء الموجودة فعلا ، لأنه نتيجة لها وأثر من آثارها ، على حين ان العلم الالهي يشمل حاضرها ومستقبلها ، لانه السبب فى وجودها ، فهو يعلـم الاسباب ويعلم النتائج علما أزليا أبديا خاصا به وحده .

لهذا كان علم الغيب مقصورا عـلى الخالق سبحانه ، قال تعالى : « قل لا يعلم من فى السموات والارض الغيب الا الله » (١) وقال تعالى : « وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو ويعلم ما فى البر والبحر وما تسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبـة فى ظلمـات الارض ولا رطب ولا يابس الا فى كتاب مبين » (٢) وقال تعالى : « وستردون الى عالـم الغيب والشهـادة فينبئكـم بمـا كنتـم تعملون » (٣) .

وبدهى ان العقل الانساني لا يستطيع ان يعرف حقيقة علـم اللـه للاشـياء المستقبلة ،لان هذا العقل عاجز عن معرفة حقيقة الذات الالهية ، فمن الطبيعي ان يعجز عن معرفة صفات الله تعالى ، بل أن العقل الانساني عاجز عن معرفة كثير من أحوال الجسـم الانساني والنفس الانسانية ، وكثير من ظواهر الكون التي يشهدها ، فهو أحرى بأن يستبين عجزه عن معرفة ما وراء المادة ، وعـن ادراك صفات الله سبحانه .

واذا كان الانسـان يفـرق بين علمه للماضى وعلمه للحاضر وظنه فى المستقبل، فان هذه التفرقة تنطبق على الانسان وحده ، وليس من الجائز ان تنطبق على علم الله لان علمه أزلي أبدى ، وكل شيء من المستقبل خاضـع لعلمه كالحاضر ، وهو تعالى يعلم الامور المستقبلة علمـه للحاضر .

معنى القضاء والقدر

١ ـ لا شك اذن فى ان علم الله واسع

(١) سورة النمل ٦٥ (٢) سورة الانعام ٥٩ (٣) سورة التوبة ١٠٥

الايمان بالقضاء

قوة دافعة

شامل محيط بما كان وبما سيكون ، وبما ظهر وبما استتر ، لانه سبحانه وتعالى هو الخالق ، ولانه أكمل الموجودات فلا بد أن يكون له من الصفات أكملها واعلاها، ولا بد ان يكون علمه أوسع علم وادق علم، بحيث لا تتصور العقول علما يداني علمه ، كما انها لا تستطيع ان تتصور وجودا يدنو من وجوده .

ومعنى هذا ان مالك الكون عليم بما يحدث فى ملكه علما سابقا للاحداث والوقائع ، فلا يقع فى ملكه حدث الا موافقا لارادته ، وهذا هو المعنى المختار للقضاء والقدر .

فالقضاء الحكم والارادة ، والقدر التقدير والترتيب والتنظيم .

وقد يطلق القدر على القوانين التي اودعها الله فى الكائنات ، لتسير على مقتضاها الأحياء، وتخضع لها الجمادات، كرسوب بعض المواد فى الماء وطفو بعضها فوقه ، وتمدد المعادن بالحرارة ، وتبخر الماء بالتسخين ، وتجمد السوائل بالبرودة .

فالمراد من ان كل شيء بقضاء الله وقدره أنه يوجد مطابقا لحكمه وارادته وترتيبه الازلي على النحو الذى علمه واراده .

وهذا المعنى يتردد فى آيات كثيرة ، منها قوله تعالى : « وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو ويعلم ما فى البر والبحر وما تسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة فى ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس الا فى كتاب مبين » (١) . ومنها قوله تعالى : « الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الارحام وما تزداد وكل شيء عنده بمقدار . عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال » (٢) وقوله تعالى : « وان ربك ليعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون . وما من غائبة فى السماء والارض الا فى كتاب مبين » (٣) .

وقوله تعالى : « انا نحن نحيى الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم وكل شيء أحصيناه فى امام مبين » (٤) .

وقوله تعالى : « ما أصاب من مصيبة فى الارض ولا فى أنفسكم الا فى كتاب من قبل أن نبرأها ان ذلك على الله يسير » (٥) .

والاحاديث النبوية تجرى على هذا النسق ، كقوله صلى الله عليه وسلم : مفاتح الغيب خمس لا يعلمهن الا الله تعالى : ان الله عنده علم الساعة ، وينزل الغيث ، ويعلم ما فى الارحام ، وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا ، وما تدرى نفس بأى أرض تموت ، ان الله عليم خبير

وقوله صلى الله عليه وسلم : كل شيء بقدر حتى العجز والكيس .

٢ ـ وقضاء الله حتمى لا يتخلف ، قال تعالى : « ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله » (١) .

وقال تعالى : « لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم » (٢) .

وقال تعالى : « ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين . انهم لهم المنصورون . وان جندنا لهم الغالبون » (٣) .

---

(١) سورة الانعام ٥٩ — (٢) سورة الرعد ٨ ـ ٩ — (٣) سورة النمل ٧٤ ـ ٧٥
(٤) سورة يس ١٢ — (٥) سورة الحديد ٢٢ — (١) سورة الانعام ٣٤
(٢) سورة الانفال ٦٨ — (٣) سورة الصافات ١٧١ ـ ١٧٣

وهذا بدهى لا يحتاج الى تعمق فى التفكير ، لان رب الكون لا يمكن ان يقع فى ملكوته شيء لم يعلمه ولم يرده أزلا ، والا كان — تعالى عن ذلك علوا كبيرا — غير محيط بما يحدث فى ملكه ، او مكرها على ما يقع فيه .

لماذا نؤمن بالقضاء

انه من الطبيعي اذن ان نؤمن نحن المسلمين بقضاء الله وقدره ايمانا لا يتزعزع .

١ — لاننا نؤمن بعلم الله وقدرته وارادته، وندين بما يلائم عظمته وجلاله ، ونصدق بكتابه وبأحاديث رسوله ، وبما تضمناه من قضاء الله وقدره .

٢ — ولان هذا الايمان يعصمنا من الغرور اذا ما حالفنا نجاح وظفر ، فقد تسول للظافر نفسه أنه بجده وحده ظفر ، فيتمرد ويطغي ، وينسى ان يشكر ربه ، ويتعامى عن حقوق من حوله،كما فعل قارون ، اذ ابطره ثراؤه ، وزعم انه كسب المال الكثير بعلمه ونسى حق الله فيه ، فجعله الله نكالا وعظة كبيرة قال تعالى : « ان قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم وآتيناه من الكنوز ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة أولى القوة اذ قال له قومه لا تفرح ان الله لا يحب الفرحين . وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا واحسن كما احسن الله اليك ولا تبغ الفساد فى الارض ان الله لا يحب المفسدين . قال انما أوتيته على علم عندى أو لم يعلم ان الله قد أهلك من قبله من القرون من هوأشد قوة وأكثر جمعا ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون . فخرج على قومه فى زينته قال الذين يريدون الحياة الدنيا يا ليت لنا مثل ما أوتى قارون انه لذو حظ عظيم . وقال الذين اوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا ولا يلقاها الا الصابرون . فخسفنا به وبداره الأرض ، فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله، وما كان من المنتصرين . واصبح الذين تمنوا مكانه بالامس يقولون وى كأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر لولا ان من الله علينا لخسف بنا وى كأنه لا يفلح الكافرون » (١) .

٣ — على ان هذا الايمان اذ يعصمنا من الغرور يبعد عنا الخور والضعف واليأس والسخط ان نزلت كارثة ، او حدث اخفاق ، لان المؤمن بالقضاء يصبر على ما نزل به ، ويستمد من صبره قوة على مغالبة عوامل القنوط والاستسلام ، فيستأنف حياته فى جد مثمر ، وبعزيمة قوية ، وأمل متجدد ، وقلب متفتح .

٤ — ثم ان ايماننا بقضاء الله وقدره يبعث فينا كثيرا من الفضائل ، اذ ان المؤمن بالقضاء شجاع ، لانه يعلم انه لن يصيبه الا ما سبق فى علم الله من موت او حياة ومن سلامة او اضطهاد ، ومن نفع او ضرر .

والمؤمن بالقضاء أبي عزيز النفس لا يذل لأحد ،ولا يدنس ضميره اوكرامته لقاء ثمن ، لانه يعتقد ان النفع والضرر بيد الله ، وقد سبق به علمه وقضاؤه ، فلو اجتمع الانس والجن على ان ينفعوه أو على أن يضروه فانهم لا يستطيعون شيئا سوى ما سبق به علم الله وقضاؤه.

والمؤمن بالقضاء راض دائما ،مستبشر دائما ، متفائل فى جميع حالاته ، لانه مطمئن الى رحمة الله ولطفه وعدله .

٥ — ولا شك ان الايمان بالقضاء يحفظنا من رذيلة الحقد والحسد والسخط ، لان الذى يحسد غيره على

---

(١) سورة القصص ٧٦ — ٨٢

الايمان بالقضاء

قوة دافعة

نعمة أنعم الله بها عليه ساخط على قضاء الله ، والذى يحقد على ذى نعمة متبرم بحظه من الحياة ، والذى يسخط نصيبه من الدنيا ضعيف الثقة بقضاء الله .

٦ ــ ونحن نؤمن بقضاء الله ، لأن الله تعالى اذ أوجب علينا الايمان به ، أوجب علينا أن نعمل وأن نسعى وأن نتخذ من الاسباب والوسائل ما يحقق الغايات المشروعة ، فلا كسل ولا تكاسل ، ولا خمول ولا تواكل .

ولهذا نهانا سبحانه وتعالى عن تعريض انفسنا للهلاك فى قوله : « ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة » (٢) .

وأمرنا بالدفاع عن الدين والوطن فى قوله تعالى : « يا ايها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون » (١) وفى قوله سبحانه : « واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم » (٢) .

وأمرنا بالسعي والعمل للحصول على الرزق ، قال تعالى :« فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الارض وابتغوا من فضل الله » (٣) ، وقال تعالى : « هو الذى جعل لكم الارض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه » (٤) .

وهكذا تتكرر الاوامر فى آيات كثيرة مؤكدة هذه المعاني وامثالها .

٧ ــ ونحن نؤمن بالقضاء لان الاحداث قبل ان تقع سر محجب عنا ، لا يعلمه الا الله الذى قضى وقدر ، وليس فى استطاعة مخلوق ان يعلم المقدور .

وكيف يتطلع احد الى معرفة الغيب ، مع ان النبي صلى الله عليه وسلم امره الله ان يقول : « ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء » (٥) .

ولهذا نعى الله على المشركين اعتذارهم عن شركهم بانه قدر من الله ، ونعى على من يعتذرون بالقدر فى انصرافهم عن الخير واقبالهم على الشر ، قال تعالى « سيقول الذين اشركوا لو شاء الله ما اشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ان تتبعون الا الظن وان انتم الا تخرصون » (٦) .

وقد قال سراقة بن مالك لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله بين لنا ديننا ، كأننا خلقنا الآن ، فيم العمل ؟ أفيما جفت به الاقلام ،وجرت به المقادير، أم فيما يستقبل ، قال رسول الله :فيما جفت به الاقلام وجرت المقادير .

قال ففيم العمل ؟ قال : اعملوا فكل ميسر لما خلق له ، وكل عامل بعمله .

---

(٢) سورة البقرة ١٩٥ (١) سورة آل عمران ٢٠٠ (٢) سورة الانفال ٦٠
(٣) سورة الجمعة ١٠ (٤) سورة الملك ١٥ (٥) سورة الاعراف ١٨٨
(٦) سورة الانعام ١٤٨

وروى عن علي بن أبي طالب قال : كنا في جنازة ، فأتانا رسول الله ، فقعد وقعدنا حوله ، ومعه مخصرة ، فنكس وجعل ينكث بمخصرته ، ثم قال : ما منكم من أحد الا وقد كتب مقعده من النار ومقعده من الجنة ، فقالوا يا رسول الله : أولا نتكل على كتابنا وندع العمل ؟ قال : اعملوا فكل ميسر لما خلق له ، أما من كان من أهل الشقاوة فيصير لعمل أهل الشقاوة ، ومن كان من اهل السعادة فيصير لعمل أهل السعادة . ثم قرأ قوله تعالى « فأما من أعطى واتقى . وصدق بالحسنى . فسنيسره لليسرى . واما من بخل واستغنى . وكذب بالحسنى . فسنيسره للعسرى » (١) .

والاحاديث النبوية كثيرة فى تأكيد هذا المعنى ، كقوله صلى الله عليه وسلم : « المؤمن القوى خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف ، وفى كل خير . احرص على ما ينفعك ، واستعن بالله ، ولا تعجز . وان اصابك شيء فلا تقل : لو أني فعلت كذا وكذا ، ولكن قل قدر الله ، ما شاء فعل ، فان لو تفتح عمل الشيطان » .

وقوله صلى الله عليه وسلم : « اذا سألت فاسأل الله ، واذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم ان الامة لو اجتمعت على ان ينفعوك بشيء لم ينفعوك الا بشيء قد كتبه الله لك ، وان اجتمعت على ان يضروك بشيء لم يضروك الا بشيء قد كتبه الله عليك » .

٨ ــ لهذا كله كان الايمان بالقضاء والقدر نعمة على البشر ، لانه ظل من الطمانينة وارف ، ونعمة من السكينة الراضية بقضاء الله ، ولانه حافز الى قوة العزائم ، وباعث على العمل والعزة والشجاعة والصبر ، ووقاية من الشرور التي تصيب الافراد والجماعات ، كالحسد والاثرة والشماتة والنفاق والجزع والياس .

ولست أريد ان اكرر ما سبق من آيات واحاديث فى الدلالة على هذه المعاني ، بل أريد ان اذكر ان المنافقين كانوا يتخلفون عن مشاركة رسول الله فى صد العدوان على الاسلام ، وكانوا يودون فى اعماق نفوسهم أن ينهزم الرسول ، ليفرحوا بهزيمته ، وليبرروا تخلفهم عن نصرته ، فانزل الله تعالى على رسوله ان المسلمين الصادقين لا يابهون بما يجول فى نفوس المنافقين ، لانهم مؤمنون بان ما يصيبهم قد سبق به قضاء الله وقدره ، وهم قد ارضوا ربهم وارضوا نفوسهم بجهادهم الباسل فى حماية العقيدة والوطن ، فاذا انتصروا لم يبطروا ، وان انكسروا لم ييأسوا .

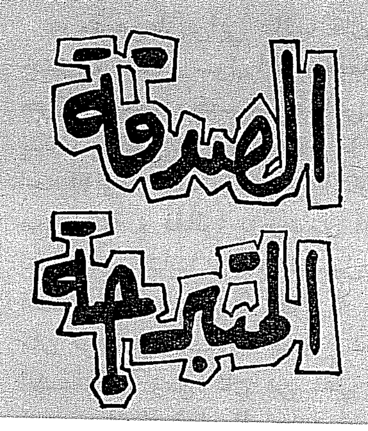
قال تعالى : « ان تصبك حسنة تسؤهم وان تصبك مصيبة يقولوا قد أخذنا امرنا من قبل ويتولوا وهم فرحون . قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون » (٢) .

أما بعد فلعله قد تبين ان ايماننا بالقضاء ليس مدعاة الى ضعفنا ، ولا باعثا على تأخرنا ، كما يزعم بعض خصومنا ، بل هو دافع قوى الى العمل والى بذل الجهد ، وحافز الى الجهاد والتضحية ، وينبوع للفضائل ، ووقاية من الرذائل ، وهو الى هذا كله ايمان بعلم الله وقدرته وارادته ، واطمئنان الى حكمه فيما قضى وقدر .

أما علاقة القضاء والقدر بالحرية فموضوع المقال القادم ان شاء الله .

---

(١) سورة الليل ٥ ــ ١٠ (٢) سورة التوبة ٥٠ ــ ٥١



« والذين ينفقون اموالهم رئاء الناس »

« قرآن كريم »

حطّتْ كالنّغْمة في أذُني
صفراءُ، صداها يلسعُني
ويَصُبُّ أساها في بدني
نارا بالرحمة تسْقيني
بثُمالة كأسٍ مفتونِ
يترنّحُ في كفِّ الساقي
ويميلُ بفضْلة أرزاقْ
لم تلْقَ لجُرْعتها كاسا
فأتَتْ تتلمّسُ أنفاسا
منْ صدرٍ يخْفقُ في كفنِ !

★★★

لم ألْقَ بها قطرةَ عَرَقِ
ممّا أغدقتُ على طرُقي
من دمعٍ يوقظُ لي رَمَقي
ويغطُّ بآهة مسكينِ
تتضوّر فيَّ وتشويني ..
تتبرّجُ في ضوءِ جثاثٍ
كشعاعٍ مرّ بأجداثِ



للشاعر
محمود حسين اسماعيل
مراقب عام البرامج الثقافية باذاعة القاهرة

عـــــرَّاها زاداً لــــــــــــلأزلِ
ولهاثـــــــــا حـدَّق للأجــــــــــلِ
وَانقـــضّ ليشـربَ مِنْ حُـرَقى ! !

***

تتحـــدّرُ من كَـفٍّ عُليــــــــــا
خاشـعة الوخـزة .. كالدنيــــــا
سَكَبَتْ لـىَ وهْمـاً يُغريــــــنى
وربيــــــعَ ريــــاءٍ ... يَرْويــــنى
وإذا .. ببقايــــا تَغْرِفُهــــــــــا
من كلِّ يمــينٍ تنزِفهـــــــــــــا
لِتَبُــلّ بها صدأ البُــــؤْسِ
وترشّ علـى كَمَـــد النَّفــسِ
ذلا بغيــاهبـــــــــه أحيــــا..

***

كالــرُّوح أتتنَى ، كالبغْتَـــــــــهْ
تتسـاقط حوْلــى من نَبْتَـــــــهْ
كاذبــةِ الرحمــة ، مُنْبَتّــــــــهْ

تابـــع
الصدقة
المتبرجة

نفـــذَتْ بالحسْـــرة في كبـــــدى
أغلالاً تقبْبَـــــعُ كالأَبَـــــدِ ..
تُعْليــه ، وتخفِـــــضُ نظَراتــــى
وتضـــــــىء الـــــرِّق بدَعَواتــى
هالاتِ ريـــــاءٍ لأخيهـــــــا ..
ولمَـــــنْ للأَعْـــــيُنِ يُعْطِيهـــــا
لتجـــــوبَ الأرضَ علَـــى لفتـــه ! !

***

حَطَّـــتْ ، وسـمعْتُ لهـا زَجَـــــــلاَ
صَـــيَّرنى عَبْــداً مُبتهـــــــــلا
ودُعــــاءً مقْهـــــــورا ، وَجِـــلاَ
يدعُـــو لِيَمين تعطيـــــــــــنى
ولقطـــــرةِ ذلٍّ تكويـــــــــنى
وأنـــا الظمـــــآن إلى حَقِّـــــى
فـــى دَرْبٍ لا يعـــرف رِقِّــــى
ســأواصل خَطـــوى لأراهُ . .
حـــراً لا تطـــرفُ عَيْنَـــاهُ ..
وســـواه لا أعـــــرف بَـــدلاً ! !



لفضيلة الشيخ احمد الخميس
المستشار بمحكمة الاستئناف العليا بالكويت

« أصدرت حكومة الكويت قانونا يعاقب كل من باع أو اشترى أو تناول أو قبل التناول أو حاز بأي صورة كانت بقصد الاتجار أو الترويج خمرا أو شرابا مسكرا .

ويعاقب كل من تعاطى فى مكان عام ، أو فى مكان يمكن رؤيته فيه ، أو فى ناد خاص خمرا ، أو شرابا مسكرا ، وكل من جلب الى المكان المذكور الخمر أو الشراب المسكر لشخص بقصد تناوله فيه .

ويعاقب كل من وجد فى حالة سكر بين ، وكل من أقلق الراحة بسبب تناوله الخمر » .

والوعي الاسلامي تحيي الكويت الدولة العربية المسلمة وتأمل أن يحذو حذوها سائر الدول العربية الاسلامية .

فى كل عصر نجد الاسلام آية كبرى ، ومعجزة تدل على أنها فوق مستويات القدرات البشرية ، فجميع أحكامه وسننه ومناهجه وتعاليمه قائمة على أصول راسخة رسوخ الجبال الشامخات ، فمنذ ألف وثلاثمائة وثمانين سنة ونيف ارتفع صوت الاسلام على لسان المصطفى صلى الله عليه وسلم يعلن للانسانية أن الخمر عدوة العقل والجسم والاخاء ، وأنها أم الخبائث ومصدر الجرائم ومستنقع السموم ، ولقد نزل قوله تعالى « يا أيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون ، انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ، ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل انتم منتهون ؟ . » وبعد هبوط الوحي بالتحريم القاطع بنص الآية الكريمة أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم مناديا ينادي : يعلن تحريمها على المسلمين فاستجاب المسلمون لذلك وعكفوا على دنان الخمر يكسرونها ويهرقون ما فيها ، وبذا حفظ الله أمة الاسلام من هذا الشر الخطير والوباء العظيم .

واليوم ونحن نستبشر خيرا بما قرره مجلس الامة مستجيبا لنداء الامة ومشاعر الشعب . واليوم ونحن نجد مجلس الوزراء يجتمع متضامنا مع مجلس الامة على منع دخولها الى هذا البلد المسلم لا يسعنا الا أن نرفع أسمى آيات التقدير لمجلس وزرائنا ، ونسأله تعالى أن يجعلهم أبدا ودائما مثالا للخير وسبيلا لاسعاد هذا الشعب الكريم والمحافظة على دينه ومثله وأخلاقه ، وليس بعجيب أن تنتصر ارادة الخير على ارادة الشر ،

وارادة العقل على ارادة الجنون والطيش، وارادة الحياة على ارادة الانتحار .

أيها المسلمون لقد أجمع أساطين الطب ، وأجمع علماء النفس ، وأجمع علماء الاجتماع ، وأجمعت طبقات الناس على أن الخمر طريق للشر ، بل هي الشر والفتنة ، فلا غرابة أن ترتفع أصوات الالوف من الناس فى الكويت المسلمة المؤمنة برسالة القرآن مطالبة بمنع الخمر ، ومن حقها الآن أن تشكر أولي الامر على تلبية النداء ، واجابة طلباتها .

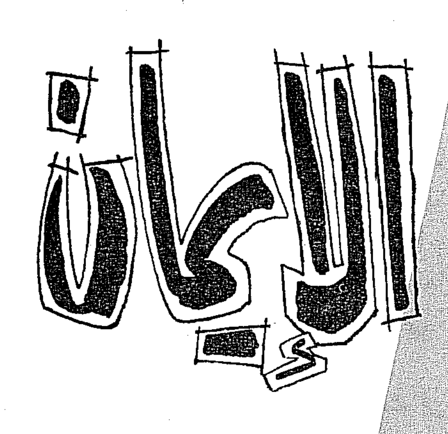
والآن نستطيع أن نقول لكم عودوا الى اسلامكم ، عودوا الى ايمانكم ، عودوا الى ساحات الجهاد الاسلامي والنضال الاخلاقي تعد لكم الكرامة والعزة والالفة والمودة ، واستمعوا الى صوت محمد صلى الله عليه وسلم يقول ((تركتكم على بيضاء نقية . ليلها كنهارها . لا يضل عنها الا هالك)) وذلك مصداق قوله تعالى ((وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ، ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون)) .

أيها الآباء انكم تتحملون متاعب الحياة، وتتعبون ، وتشقون ، وتجاهدون ليلا نهارا ، فاذا مرض أطفالكم ذهب النوم عن أجفانكم ، واذا تأخروا عن موعد الحضور عم قلوبكم الخوف والقلق والذعر ، هؤلاء الابناء الاعزاء حشاشة النفس وأكباد المجتمع لا يصح أن ندعهم فريسة الالحاد وفريسة للخمر ، هؤلاء زهرات حياتنا لا يصح أن نتركهم تفسد عقولهم وأرواحهم وضمائرهم أقدام الكفر والمجون والاستهتار بالاخلاق والقيم ، هؤلاء الاطهار الفطريون لا يجوز أن نتركهم عزلا بدون سلاح ، يعتدى عليهم دعاة الفساد ، ويجرهم زحف الاباحية ، هؤلاء أعز ما نملك أمل أمتنا الباسم ، أمل ديننا وفرقاننا واسلامنا يجب أن نفتح آفاق الثقافة الاسلامية لنقيهم من أضاليل وأكاذيب ما يسمعون.

أيها الوزراء أيها القادة يا من بيدهم مقاليد أمور هذه الامة المسلمة ، أنتم تحكمون شعبا مسلما وأمة مسلمة ، والمسلم وفى لمن يحسن اليه ، والخمر أم الكبائر والآثام وقد عقدتم العزم متضامنين مع مجلس الامة بمنع استيرادها فشكرناكم . شكرتكم النخوة والمروءة ومكارم الاخلاق يا أصحاب المعالي ان من الصفات المميزة للحاكم المسلم أن يكون الاسلام أقرب الى نفسه من الحياة وما فيها قال تعالى ((ان كان آباؤكم وأبناؤكم واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم واموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها احب اليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بأمره)) .

وعن ابن عباس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : ((من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يشرب الخمر ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر ، فلا يجلس على مائدة يشرب عليها الخمر)) ، وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ((لعن الله الخمر وشاربها وساقيها وبائعها ومبتاعها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة اليه)) . وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ((اجتنبوا الخمر فانها مفتاح كل شر)) .

وفق الله المسلمين للعمل بكتاب الله وسنة رسوله آمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



للاستاذ عبد العزيز العلي المطوع

الايمان هو منة الله العظمى على عباده المستعدين لاستقباله اذ هو قوة نورانية فاعلة ، تستمدها وتشعها أجهزة صالحة قابلة ، كما تستمد المشاكى الصالحة النور من الكهرباء لتقضي على الظلام ، (الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح) . والانسان الصالح جهاز صالح ملزم بالاتصال والتفاعل مع النور والخير عن أهلية واستحقاق (والزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها) ، وعلى العكس من ذلك الخفافيش العمياء عن النور ، والأجهزة الفاسدة التي لا تستقبل النور ولا تشعه (قال يا قوم أرأيتم ان كنت على بينة من ربي وآتاني رحمة من عنده فعميت عليكم أنلزمكموها وأنتم لها كارهون) . ومن المعلوم أن الأرمد لا يبصر نور الشمس ، ولا يشعر المريض بطعم الماء ولا المزكوم بشذى الورد .

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد
وينكر الفم طعم الماء من سقم

****

وما ضر الورود وما عليها
اذا المزكوم لم يطعم شذاها

والايمان ضروري للانسان ، بل انه لفي مقدمة ضرورات الحياة التي لا يستغنى عنها الانسان فى حال من الأحوال ، اذ هو الحب الصادق ، والاخلاص الكامل ، والاطمئنان بكل معانيه ، وهو الجاذبية التي تكون من الأفراد مجموعة صامدة تؤدى رسالتها فى الحياة . والانسان مهما حاول المكابرة فهو مفطور على الايمان بالقوة المبدعة لهذا الوجود والقدرة الأزلية اللانهائية التي يقرها العقل ، ويؤمن بها العلم ، ويخر لها العلماء سجدا ، (انما يخشى الله من عباده العلماء) ، ولذلك أرسل الله الرسل ، وأنزل الكتب ليتم نعمه على الناس ظاهرة وباطنة ، ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة ، ولئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ، ولله سنن كونية فى خلقه كسنن النور والظلام ، فالنور يمحق الظلام وعلى قدر ما يخبو من النور يحل الظلام (انا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد) . وتنازع البقاء بين الامم وتنافسها ضروريان لاصلاح الأرض وعمارتها ، ولا بد للعالم

من توحيد كلمته على كلمة التوحيد يوما ما ، (ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله) .

قصة واقعية تؤيد التقاء الناس على كلمة التوحيد

لقد جمعتني احدى المصادفات مع ملحد يدافع عن الشيوعية ويجادل منكرا الألوهية ، ويحاول تحكيم المنطق فى جدله ، ومما قلت له فى أثناء الحديث : هل تعلم أنك تؤمن بالله شئت أم أبيت ؟ قال : وكيف ذلك ؟ فكان جوابي ، اذا كنت تنكر الألوهية الحقة فبم تؤمن ؟ قال : أومن بالانسان وبالعلم ، فقلت له : انك ترى هذه الأرض وما فيها من خيرات وترى هذا الفضاء وما فيه من ذرات ومجموعات وأسرار ، هل كان لهذا الانسان يد فى ابداع ذلك أو نصيب فى تنظيمه ؟ بل وفى خلق نفسه وتكوين دقائق جسمه ؟ فقال ، لا ، قلت : اذن هناك قوة وراء ذلك أبدعت هذا الوجود ونظمته ، وهذه القوة هي الله الذى نؤمن به ونعبده ، اذ أننا لا نعبد جرما محدودا فى زاوية من زوايا الكون الواسع ، بل نؤمن بالقوة اللانهائية التي لم يكن هذا الكون بالرغم من سعته الا جزءا من اجزاء مخلوقاتها ، وحلقة فى قبضتها فقال : الطبيعة هي التي أوجدت الكون ، فقلت : اننا نعبد القوة الخفية التي أوجدت هذا الكون فان سميتها الطبيعة ، فنحن نسميها الله ، ولا خلاف بيننا الا بالتسمية، ولا شك انك تشاركني فى ان المبدع المنظم خالق العقل والسمع والبصر وسائر الطاقات لا بد وان يكون سميعا بصيرا قادرا عالما موصوفا بجميع صفات الكمال التي تنبغي لهذا المبدع الجبار العظيم ، أما اذا قلت كما يقول الآخرون : أن الطبيعة صماء عمياء عاجزة، فاعلم ان فاقد الشيء لا يعطيه ! .

واغتنمت فرصة سكوته مبهوتا ، فعرجت على موضوع الشيوعية وبادرته بقولي : ان الشيوعية فى نظرى متأخرة كثيرا عما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ، بل هي فى طريقها الى ذلك وسوف تلتقى معنا اذا كانت المصلحة رائدها كما يدعي مؤسسوها وذلك بعد ما يمر عليها من تضحيات مريرة وتجارب قاسية ، بدليل أن الشيوعية تتضمن أمرين كما يقولون ، **الأول :** نفي الألوهيات، **والثاني :** التطور مع المصلحة .

والاسلام سبقها الى ذلك ، حيث أن مفتاح الايمان عندنا هو لا اله الا الله ، اذ بنصف الجملة الأولى (لا اله) نفي الألوهيات فى كل ما اتخذه الانسان من عبادة أخيه الانسان حيا فى صومعته أو قصره أو ميتا فى تمثاله أو قبره ، وغير ذلك من عبادات النور والنار والكواكب والبحار والأحجار والحيوان والأشجار ، وبنصف الجملة الثاني (الا الله) ، استثناء للقوة الأزلية القادرة العالمة المبدعة .

وكل ما قاله لي محدثي بعد ذلك : ان كان هذا هو الاسلام ، فالعقل يقبله وهو ضالة العلماء والحيارى ، ولكني أرى أعمال المسلمين تخالف ذلك ولا تظهر الاسلام بهذا المظهر المقبول لأن الكثيرين ينظرون الى العقيدة من خلال أعمال أتباعها الذين هم ثمراتها .

قلت له : معك حق فى ذلك ، ولكن أرجو أن لا يغيب عن بالك أنه قد اندست على هذا الدين فئة من ألد أعدائه بقصد تشويه الحقائق فيه فكان لهم نصيب مما أرادوا ، فكنا كما ترى نهبا بين الأمم ولكن السر فى صمودنا رغم ذلك ، أن كل منتصر علينا اذا لم يذب فينا فلا

نذوب فيه والمغول والأتراك قد اعتنقوا ديننا رغم انتصاراتهم علينا ، ولم تستطع فرنسا اذابة الشعب الجزائرى فيها رغم اعتبارها الجزائر جزءاً من فرنسا طيلة مائة وثلاثين سنة ، وجعلها اللغة الفرنسية هي اللغة الرسمية ولغة المدارس فيها ، ولا بد لنا بعد هذه الفترة المريرة والبلاء العظيم من عودة الى النهج القويم والصراط المستقيم لتستهدى الدنيا برسالتنا الحقة المثلى ، واني اعتقد بانك تشاركني الرأى بان اتحاد المسلمين سيكون هو القوة الفاصلة بين معسكرى الشرق والغرب ، المرجحة للجانب الذى ترضى عنه ، وعقيدتنا الوسطى بين الرأسمالية والاشتراكية ومركزنا الاستراتيجي الوسط وثرواتنا الطبيعية ، كل ذلك يؤهلنا لنكون الأمة الوسط ويخاطبنا قرآننا العظيم موجها ايانا لهذا المركز الهام بقوله : (وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا) .

قال محدثي : فليكن ذلك وليلتقي العالم شرقه وغربه فى النقطة الوسط ، وبذلك الخير للعالم لو تم ، ولكن متى ؟ فقلت له أرجو أن يكون ذلك قريبا ، وليس بيننا وبين ذلك الا أن يصلح الفرد فيصلح المجموع ، لأن الميدان الأول لكفاح الانسان نفسه .

ومن خلال هذه المحاورة ، يظهر أن أبعد أهل العالم عن الايمان بالله يلتقون مع كلمة (لا اله الا الله) ، فكيف بأهل الكتاب الذين يؤمنون بالله وكتبه ورسله واليوم الآخر ، لا سيما وأن الفاتيكان منذ عهد البابا « بيوس الثاني عشر » وهو يمهد للاعتراف بالاسلام كدين سماوى جدير بالحياة ، والآية القرآنية الآتية تؤيد ذلك (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ، ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز) والآية الثانية (ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) وقوله جل شأنه (ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا فى التوراة والانجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم) .

وهذا ما حدا بي الى التنبيه لمقاييس الايمان الخالي من شوائب الردة التي هي الرجعية والجاهلية ، ليعرض كل فرد منا نفسه على هذه المعايير كي يضمن لنفسه الفوز ولأمته النصر ويكون جديرا بهذا الوعد العظيم ممن لا يخلف الميعاد ومن كفر فان الله غني عن العالمين (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون) .

فلو صدقنا الله لصدقنا فتلك سنة كونية ولن تجد لسنة الله تبديلا .

مقاييس الايمان

يقول المولى عز وجل مخاطبا الذين آمنوا من الرعيل الأول فى المدينة المنورة وكل مؤمن بعد ذلك الى آخر الأزمنة مبينا مقادير الايمان ومعايير الرجحان

والخسران بهذه الآية الكريمة (يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم) ... نعم .. هذه صفات المؤمن الموعود بالاستخلاف فى الأرض وهي صفات خمس .

الأولى : الحب من الله ولله وفي الله ، ومن حب الله اتباع رسله (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم) .

الثانية : ذل المؤمن على أخيه المؤمن عن حب وتكافؤ لا عن ضعف أو خوف والمقصود به هو التواضع وخفضه الجناح لأخيه المؤمن ، يقول المولى سبحانه مخاطبا الرسول صلى الله عليه وسلم (واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين) ويأمر سبحانه المؤمن بخفض الجناح للوالدين بقوله (واخفض لهما جناح الذل من الرحمة) أى لا من الضعف ولا من الخوف .

الثالثة : عزة المؤمن على الكافر ، والكافر هو الجاحد لله ورسله وكتبه واليوم الآخر عن عمد ومكابرة ، وهو لغة الذى يوارى الحق بالباطل عن قصد ، لهذا قيل فى الزراع انهم كفار لأنهم يغطون الحب بالتراب والكفر (بفتح الكاف) هو المزرعة وتستعمل هذه الكلمة حتى يومنا هذا فى بعض البلاد العربية ، والعزة المطلوبة هي العزة الرشيدة الحكيمة التي لا يخالطها بغي أو كبرياء .

الرابعة : الجهاد فى سبيل الله ، وهو شرط من شروط الايمان ، حيث لا عزة لأمة بدون جهاد ولا كيان لها بدون منعة ودفاع .

الخامسة : المؤمن الكامل الايمان لا يخاف فى الحق لومة لائم .

هذه هي المقاييس الخمسة التي يجب على المؤمن عرض نفسه عليها لمعرفة مقدار حقيقة ايمانه والشوائب التي تشوب ذلك من ردة أو رجعية نتيجة لما ينقصه من هذه الصفات ، ولقد عرض الرعيل الأول نفسه عليها فنجح وسادت رسالته جزءاً كبيرا من العالم وشع نورها على الدنيا بأسرها ، أما نحن فدرجاتنا دون النجاح ، ولا شك ، واذا كان هناك تفاوت بيننا فهو بمقدار درجات السقوط ، اذ علامة النجاح العزة الكاملة التامة ، والجهاد الكامل ، وميراث الأرض وخلافتها باتحادنا ، وسيادة فكرتنا ، وقد آن الأوان لأن يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ليتبدد الظلام بانبثاق النور من مشاك صالحة ، ويزهق الباطل بظهور الحق على أيد عاملة ، ويعم العالم الخير والسلام .

وما من شك فى أن واجب العرب فى هذا المضمار كبير ومسؤوليتهم عظيمة وباتحادهم وعزتهم عزة للاسلام مصداقا لمأثور القول : « لا يعز آخر هذه الأمة الا بما عز به أولها » ، فقد جعل الله ختام الرسالات الربانية والكتب السماوية فينا ، وفي لغتنا ، واصطفانا لذلك بقوله سبحانه : (ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله) .

اللهم ايت بهم واجعلنا منهم — والسلام على من استنار بالحق فاستهداه وعرف واجبه فأداه ورحمة الله وبركاته



رعاية المصلحة في الشريعة الاسلامية

الدكتور عبد الكريم زيدان
مدرس الشريعة الاسلامية
بكلية الحقوق بجامعة بغداد

١ ـ تمهيد

من خصائص الشريعة الاسلامية انها عامة فى المكان والزمان ، بمعنى انها عامة لجميع البشر فى كل مكان وزمان ، وبهذا نطق القرآن الكريم ، قال تعالى : ((قل يا أيها الناس انى رسول الله اليكم جميعا)) (١) وقال : ((وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا))(٢) وعموم الشريعة الاسلامية غير مقصور على عصر النبى صلى الله عليه وسلم ، بل هو يمتد الى يوم القيامة ، لان الرسول صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين والمرسلين . قال تعالى : ((ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين ... (٣) وبختم الرسالة والنبوة انقطع الوحي . وبانقطاع الوحي امتنع نسخ الشريعة ، لان الشريعة الاسلامية وهي وحي الله لا ينسخها الا وحي الهي ، وحيث لا وحي بعد رسول الله فلا يتصور نسخها ولا تبديلها ...

واذا كان ما قدمت يعتبر من الامور الواضحات ، فان من لوازم ذلك ان تكون الشريعة الاسلامية ذات قابلية للبقاء والعموم ، محققة مصالح الناس فى كل زمان ومكان ، اذ لا يجوز فى العقل ان تكون الشريعة كما وصفنا وهي عاجزة عن مصالح العباد ...

٢ ـ ابتناء الشريعة على رعاية مصالح العباد .

يقول الفقيه الشجاع العز بن عبد السلام « ان الشريعة كلها مصالح اما درء مفاسد او جلب مصالح (٤) ويقول الامام الكبير ناصر السنة النبوية شيخ الاسلام ابن تيمية : ومعلوم ان الشريعة جاءت بتحصيل المصالح وتكميلها وتعطيل المفاسد وتقليلها بحسب الامكان » (٥) .

ويقول أيضا : « فان الله تعالى بعث رسوله صلى الله عليه وسلم بتحصيل المصالح وتكميلها ، وتعطيل المفاسد وتقليلها (٦) .

١ ـ سورة الاعراف الآية ١٥٨   ٢ ـ سورة سبأ الآية ٢٨.   ٣ ـ سورة الاحزاب الآية ٤٠.
٤ ـ قواعد الاحكام للعز بن عبد السلام ج١ص (٩١) .
٥ ـ منهاج السنة لابن تيمية ج ١ ص ١٤٧ .   ٦ ـ منهاج السنة لابن تيمية ج ٢ ص ٢٤٠ .

« هـذا البحث يبين للقارىء الى أى حد راعت الشريعة المصلحة العامة ويكشف عن قدرتهـا على معالجة المشاكل المستجدة .. هذا أمر مسلم به عند الجميع . والذى نوده أن تكون هناك خطوة ايجابية لاستعمال هذه القاعدة فى علاج المشاكل الحديثة التى نجابهها الآن ونتعدى بذلك نطاق البحث التاريخى الى علاج الواقع .. والمجلة ترحب بكل بحث فى هـذا الصدد وتعرضه للمناقشة لعلنا نصل بذلك الى ما يحتاجه المسلمون الآن » . « الوعي الاسلامي »

ويقول الفقيه المحقق ابن قيم الجوزية: « ان الشريعة مبنـاها واساسها على الحكم ، ومصالح العبـاد فى المعاش والمعاد » (١) .

ويقول الامام الشاطبي : (والشريعة ما وضعت الا لتحقيق مصالح العباد فى العاجل والآجل ودرء المفاسد عنهم (٢) .

فهذه النقول عن هؤلاء الائمة الاعلام ، صريحة فى ان الشريعة بنيت على أساس رعاية مصالح العباد فى الدنيا والآخرة ، وسواء أكانت هذه المصالح جلب منافع، أم درء مفاسد لان درء المفاسد وجه من وجوه المصلحة .

٣ ـ أدلة ابتناء الشريعة على رعـاية المصالح .

وما ذهب اليه هؤلاء العلماء هو الحق عين الحق ، وعليـه يدل اسـتقراء النصوص ونهج المشرع فى تشريعه الاحكام، وتشـهد له أصول الشريعة المقطوع بصحتها ونذكر من ذلك على سـبيل التمثيل لا الحصر ما يلى : ـ

أ) جاء فى القرآن الكريم فى تعليـل رسالة محمد صلى الله عليه وسلم « وما ارسلناك الا رحمـة للعالمين » (٣) ومـن الواضح ان الرحمة هذه تتضمن رعاية مصالح العباد ودرء المفاسد عنهم .

ب) تعليل الاحكام بجلب المصلحـة ودرء المفسدة اعلام للمكلفين بأن تحصيل المصالح هو مقصود الشارع الحكيـم ، وان الاحكام ما شرعت الا لهذا الفـرض فمن ذلك قول الله تعالى « ولكـم فى القصاص حيـاة يا أولي الالباب لعـلكم تتقون (٤) فتشريع القصاص مصـلحة مؤكدة للناس ، لأن فيه زجرا وردعا لمن تسول له نفسه الاعتـداء على أرواح الناس ، فتحفظ حياتهـم بذلك وقول الله تعالى فى تعليل النهي عن الخمـر والميسر : « انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العـداوة والبغضـاء فى الخمـر والميسر ، ويصدكم عن ذكر الله وعـن الصلاة فهل انتم منتهـون (٥) فالنهى عن الخمر والميسر يحقق مصلحة مؤكدة هي دفع ما يريد الشيطان ايقاعه بـين المسلمين من عداوة وبغضاء وصـد عن ذكر الله وعن الصلاة ....

---

١ ـ أعلام الموقعين لابن القيم ج ٣ ص ١ .
٢ ـ الموافقات للشاطبي ج ٢ ص ٣٧/٦ .
٣ ـ سورة الانبياء الآية ١٠٧ .
٤ ـ سورة البقرة الآية ١٧٩ .
٥ ـ سورة المائدة الآية ٩١ .

ج) من أصــــول الشريعة المقطوع بصحتها رفع الحرج عن الناس وارادة اليسر بهم ودفع العسر عنهم ، قال تعالى: (يريد الله بكـــم اليسر ولا يريد بكـم العسر) (١) . وقـــال تعالى : « يريد الله ان يخفف عنكـــم وخلق الانسان ضعيفا » (٢) وقال عز وجل : « ومــا جعل عليكم فى الدين من حرج » (٣) ولا شك ان رفع الحرج والعسر وارادة اليسر بالعبـــاد والتخفيف عنهم كل ذلك من مظاهر رعايـــة المصــلحة فى التشريـــع الاسلامي .

د) تشريع الرخص بالنســبة لذوى الاعذار كالمرضى والمسافرين والمضطرين والمكرهين وجه بارز من وجوه رعــــاية المصلحة وعدم ارهاق الناس ، فالمريض يفطر فى رمضان ، وكذا المسافر ، والمكره على كلمة الكفر لا يكفر بقولها ، والمضطر يباح له تناول المحرمات مـــن مطعوم أو مشـــروب لان الضـــرورات تبيـــح المحظورات ...

هـ) وتشريع الاحكام فى عصر النبي صلى الله عليه وسلم أخذ بنهج التدرج فلم تأت أحكامه دفعة واحدة وانمــــا جاءت متدرجة من حيث زمان تشريعها ، ومن حيث انواعها رعاية لمصالح العباد ورفع الشقة عنهـــم ، وترويضهم على تقبل الاحكام شيئا فشيئا .

٤ ــ بين الشريعة والقوانين الوضعية .

واذا كانت الشريعة الاسلامية قـــد راعت بجميع احكامها مصالح العبـــاد ، وان القوانين الوضعية من أسس وضعها مراعاة مصالح الناس ، فان بين الاثنين مـــــع ذلك فرقين جوهريين لا يجوز اغفالهما .

الاول :

ان القوانين الوضعية لا تهتـــــم الا بمصالح الناس فى الدنيا ولا يمتد نظرها الى ما وراء هذه الحياة . اما الشريعـــة الاسلامية فهي تنظر الى مصالح العباد فى الآخرة ــ وهي الظفـــر بنعيم الجنة ، والنجاة من عذاب النار ــ هي الأهـــم والاكثر رعاية فى الشريعة الاسلامية لانها هي الباقية اما مصالح الدنيـــــا فهي الفانية وشتان بين ما يفنى وما يبقى .*

الثاني :

أن القوانين الوضعية قاصرة عـــن تحقيق المصالح على الوجه الاكمـــــل المطلوب ، لان واضعهـــا بشر والبشر لا ينفك عن الجهل والهوى ونقص الادراك ، فقد يرى ما هو مفسدة مصلحة وما هو مصلحة مفسدة فيشرع من الاحكام مـــا يفوت المصلحة ويجلب المفسدة .

وقد يدرك المصلحة ولكن ما يشرعه من احكام يقصر عن تحصيلهـــــا وسر المسألة أن صفات الصـــانع تظهر على صنعته ومصنوعه ، وحيث ان الانسان مهما يكمل فهو ناقص ومهما يصف فهو لا يخلو من هوى ومهما يؤت من علـــم فهو قليل . فان هذه الصفات تنعكس

---

١ ــ سورة البقرة الآية ١٨٥ . ٢ ــ سورة النساء الآية ١٣ .
٣ ــ سورة الحج الآية ٧٨ .

* **المجلة ....**

هذه وجهة نظر ... ولكن هناك وجهة نظـــر أخــــرى تعتبر ان ما خصصه الله من ثواب فى الآخرة للمحسنين وعقاب للمسيئين انما هو لتحسين اعمال العباد فى الدنيا وصرف هممهم الى السعي لتحقيق مصالحهم وتحسين ســـلوكهم . وجزاء الآخرة أهم وأبقى .

على ما يشرعه ... اما شريعة الاسلام فهي من صنع الله جل جلاله مبرأ من كل نقص فله الكمال المطلق ، فما يشرعه من احكام يأتى مبرأ من النقص والهوى ، صالحا للعباد ، محققا لهم الخير والفلاح، لانه من صنع الخالق العظيم العالم بما يصلح لعباده « الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير » (٤) .

٥ ـ المصلحة دليل من أدلة الاحكام .

والشريعة فى منهجها فى التشريع وبناء الاحكام على المصلحة ، قد دلت على ان رعاية مصالح الناس دليل من أدلة استنباط الاحكام ، وهذا ما فهمه علماء الاسلام فجعلوا المصلحة أصلا من اصول استنباط الاحكام فكل مصلحة تظهر وليس لها حكم فى الشريعة فان الشريعة الاسلامية تأذن للمجتهدين بتشريع الحكم الملائم لتحقيقها وعلى هذا الاساس سار فقهاء الصحابة الكرام فى استنباط الاحكام دون انكار فيكون ما ذهبوا اليه اجماعا سكوتيا والاجماع حجة ... فأبو بكر رضى الله عنه جمع القرآن لما رأى المصلحة فى ذلك ، وعمر بن الخطاب رضى الله عنه رأى قتل الجماعة بالواحد ، واتخذ السجن ، ودوّن الدواوين ، وقاسم ولاته فى أموالهم التي اكتسبوها بجاه السلطة وجعلها لبيت المال وعلي رضى الله عنه قال فى تضمين الصناع ما يهلك فى أيديهم من اموال الناس « لا يصلح الناس الا ذاك » الى غير ذلك من اجتهادات الصحابة المبنية على المصلحة (١) .

٦ ـ ولا يعكر ما قلناه من اعتبار المصلحة أساسا للاستنباط اختلاف الفقهاء فى حجية المصلحة وصلاحيتها لاستنباط الاحكام ، فان هذا الخلاف يحكي فى كتب أصول الفقه على نحو واسع ، ولكن لا نجد آثاره بهذه السعة فى كتب الفقه ، فالفقهاء المنسوب اليهم انكار حجية المصلحة وجدت لهم اجتهادات قامت على أساس المصلحة كما سنذكره بعد قليل ولكن مما لا ريب فيه ان هناك فريقا من الفقهاء أنكر على المصلحة صلاحيتها لابتناء الاحكام عليها ، ولكن هذا الفريق من الفقهاء محجوج بنهج الصحابة القويم فى رعاية المصلحة . وبما قلناه عن ابتناء الشريعة على رعاية المصلحة واما ما احتجوا به فى انكارهم حجية المصلحة فى استنباط الاحكام من ان الشارع الحكيم شرع لعباده ما يحقق مصالحهم، وانه لم يترك مصلحة بلا تشريع والا كان ذلك قدحا فى الشريعة ومناقضا لقول الله تعالى « ايحسب الانسان ان يترك سدى » (٣) .

فان هذه الحجة ضعيفة لا تنهض دليلا لانكارهم . فالشريعة حقا ، قد راعت مصالح العباد ، وشرعت من الاحكام ما يوصل اليها ، ولكنها لم تنص على جميع جزئيات المصالح الى يوم الدين وانما نصت على بعضها ، ودلت بمجموع احكامها على ان المصلحة هي مقصود الشارع وغرضه من الاحكام ، وان للمجتهدين ـ بناء على ذلك أن يستنبطوا الاحكام لتحقيق المصالح المستجدة والمسكوت عنها . وهذا المسلك من الشريعة فى عدم النص على جميع جزئيات المصالح من محاسن

---

١ ـ سورة تبارك الآية ١٤ ... ٢ ـ الطرق الحكيمة لابن القيم ص ١٤ وما بعدها .
٣ ـ سورة القيامة الآية ٣٦ .

الشريعة لا من مثالبها ومن دلائل صلاحيتها للبقاء والعموم لان جزئيات المصالح تتغير وتتبدل ، وان كان اصل رعاية المصالح قائما ثابتا لا يتغير ، فليس اذن من الضروري عدّ جزئيات المصالح مقدما وتشريع حكم خاص لكل واحدة منها على حدة . وعلى هذا فاستنباط الاحكام على اساس المصلحة لا يكون افتئاتا على حق الشارع العظيم في التشريع ولا يدل على ترك الخالق لعباده سدى ، لانه هو الذي أرشدنا الى رعاية المصلحة والاخذ بها .

والحكم المستنبط على اساسها هو من احكام الشريعة وما عمل المجتهد في هذا النوع من الاجتهاد الا من قبيل الكشف عن حكم الشريعة لا من قبيل التشريع ابتداء .

٧ ـ ضوابط الاخذ بالمصلحة .

والاخذ بالمصلحة ، والاعتداد بها ، واعتبارها من مصادر التشريع لا يكون خلوا من كل قيد مطلقا من كل ضابط . فالواقع ان العلماء وضعوا ضوابط للمصلحة المعتبرة التي تكون اساسا للاستنباط ، فاشترطوا لها ان تكون ملائمة لمقاصد الشارع فلا تخالف أصلا من اصوله ، ولا نصا من نصوصه ، بل يجب ان تكون من جنس المصالح التي قصد الشارع تحصيلها او قريبة منها ليست غريبة عنها . كما اشترطوا لها ان تكون معقولة بذاتها بحيث لو عرضت على اصحاب العقول السليمة ، لتلقتها بالقبول وفضلا عن ذلك ، اشترطوا أن تكون المصلحة مؤدية الى حفظ ما هو ضروري وهو حفظ الدين او النفس او العقل او العرض او المال ، او تحقيق رفع الحرج عن الناس(١) .

وبناء على هذه الضوابط فكل اجتهاد او قول او افتاء او رأي بني على مصلحة متوهمة مخالفة لنص شرعي ، لا يكون هذا الاجتهاد الا باطلا ، لانه اجتهاد في معرض النص والقاعدة الفقهية تقول (لا مساغ للاجتهاد في معرض النص) (٢) ومن هذا النوع من الاجتهادات الباطلة القائمة على مصالح متوهمة ما ذهب اليه بعض الناس من جواز تحريم تعدد الزوجات او مساواة الذكر والانثى في الميراث او اشتراط اذن القاضي لصحة وقوع الطلاق ...

٨ ـ أمثلة من اجتهادات الفقهاء المبنية على المصلحة .

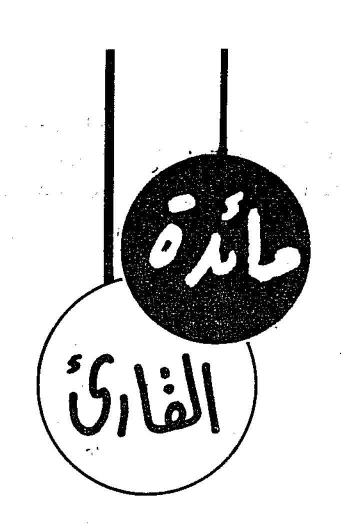
أفتى المالكية بجواز فرض الضرائب على الافراد القادرين عند الحاجة وضعف بيت المال ، فقد جاء في تهذيب الفروق « توظيف الخراج على المسلمين من المصالح المرسلة ، ولا شك عندنا في جوازه وظهور مصلحته في بلاد الاندلس وفي زماننا لكثرة الحاجة لما يأخذه العدو من المسلمين سوى ما يحتاج اليه الناس وضعف بيت المال عنه ... الى آخر ما قال (٣) واجازوا شهادة الصبيان

البقية على ص ٥٥

١ ـ الاعتصام للشاطبي ج ٢ ص ٣٠٧ ـ ٣١٤ وكتاب الامام مالك لاستاذنا الشيخ محمد ابي زهرة ص ٤٠٢ .

٢ ـ كتابنا المدخل لدراسة الشريعة الاسلامية ص٩٥ .

٣ ـ تهذيب الفروق والقواعد السنية في الاسرار الفقهية للشيخ محمد علي بن الشيخ حسن مفتي المالكية ، وقد نقل المؤلف ما ذكرناه في الصلب عن الشيخ المالي المالكي بعد ان ذكر عن الشاطبي انه ممن يرى جواز ضرب الخراج على الناس عند الحاجة ج ١ ص ١٤١ .



عن أنس - رضي الله عنه - قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : قال الله تعالى : « يا ابن آدم انك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي . يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ، ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالي . .

يا ابن آدم لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ، ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا لأتيتك بقرابها مغفرة » .

«رواه الترمذى .. وقال حديث حسن صحيح»

« ما عرف التاريخ حاكما أعدل ولا أرحم من العرب »

« جستاف لوبون »

المصلح

« ليس المصلح من استطاع أن يفسد عمل التاريخ فهذا سهل ميسور حتى للحمقى ، ولكن المصلح من لم يستطع التاريخ أن يفسد عمله من بعده »

« مصطفى صادق الرافعي »

لا تبكوا علي

مات أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب سنة ٢٠ هـ فى خلافة عمر بن الخطاب وكان قد حفر قبره بنفسه قبل موته بثلاثة أيام وعندما حضرته الوفاة قال لمن حوله : « لا تبكوا علي فانى لم انتطف بخطيئة منذ أسلمت » .

أشباه رسول الله

كان فى بنى عبد مناف خمسة رجال يشبهون فى خلقتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(١) ابن عمه جعفر بن عبد المطلب قال فيه الرسول : (اشبهت خلقى وخلقى) .
(٢) ابن عمه وأخوه فى الرضاعة أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب .
(٣) ابن عمه قثم بن العباس وقد استشهد وهو يجاهد فى سمرقند ودفن فيها .
(٤) السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم جد الامام الشافعي .
(٥) حفيده الحسن بن علي بن أبى طالب رضى الله عنهما .

كيف يكون التواضع

قال بكر بن عبد الله :
« اذا رأيت من هو أكبر منك ، فقل : سبقني الى الايمان والعمل الصالح . واذا رأيت من هو أصغر منك فقل : سبقته الى الذنوب فهو خير مني . واذا رأيت اخوانك يعظمونك ويصفونك فقل : هذا فضل أحدثوه . واذا رأيت منهم تقصيرا فقل : هذا ذنب أحدثته » ..

وفــاء

قام صلى الله عليه وسلم على الصفا يدعو الله بعد الفتح فأحدقت به الأنصار وقالوا فيما بينهم : أترون رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد فتح الله عليه أرضه وبلده يقيم بها . فلما فرغ من دعائه سألهم عما كانوا يقولون فأخبروه، فقال صلى الله عليه وسلم : « يا معشر الانصار المحيا محياكم والممات مماتكم » .

أين المفر ؟

تمثل معاوية عند الموت بهذا البيت :

هو الموت لا منجى من الموت والذى   نحاذر بعد الموت أنكى وأفظع

ثم قال ــ
« اللهم فأقل العثرة ، واعف عن الزلة ، وعد بحلمك على جهل من لم يرج غيرك ، ولم يثق الا بك ، فانك واسع المغفرة ، يا رب : أين لذى الخطأ مهرب الا اليك »

انما يعرف الفضل ذووه

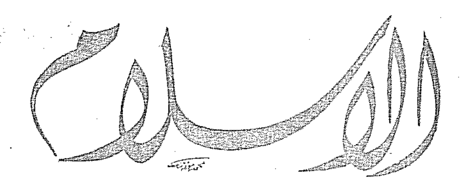
علم سفيان الثورى فى مكة بأن امام أهل الشام عبد الرحمن الأوزاعي قادم الى مكة . فخرج منها يستقبله حتى لقيه بذى طوى فأخذ بزمام بعيره ووضعه على رقبته وسار به . وكان اذا مر بجماعة يشغلون الطريق قال : الطريق للشيخ .

من أنت فتزار ؟

دخل رجل على داود الطائي ، فقال له : ما حاجتك ؟ فقال : زيارتك .

فقال: أما أنت فقد عملت خيرا حين زرت. ولكن أنظر ، ماذا ينزل بي اذا قيل لي : من أنت فتزار ؟ أمن الزهاد أنت ؟ لا والله . أمن العبّاد أنت ؟ لا والله . أمن الصالحين انت ؟ لا والله .

ثم أقبل يوبخ نفسه ويقول : كنت فى الشبيبة فاسقا ، فلما شخت صرت مرائيا . والله للمرائي شر من الفاسق.



والمعاملات المصرفية

-٢-

للدكتور محمد عبد الله العربى
عميد معهد الدراسات الاسلامية ـ القاهرة

« تحدث الدكتور العربى فيما نشر من مقاله بالعدد السابق عن المضاربة الشرعية وعن حكم ما تأخذه البنوك من فائدة نظير ما تقدمه من قروض وما يمكن أن يترتب على عملية البنوك هذه من منافع أو مضار .. وهنا يكمل حديثه عن هذا الموضوع ثم يتقدم بما يراه من اقتراحات » .

ان الثابت بحكم الواقع المعاصر هو ان البنوك ـ بالدور الذي تقوم به فى احلال الائتمان المصرفي محل العملة النقدية اعتمادا على رصيد الودائع التي لديها واطمئنانها الى استمرار تدفقه ـ تؤدى للمجتمع نفعا فى تيسير التعامل التجاري ، ولكنها فى الوقت نفسه تلحق به ضررا بليغا ، ينشأ على الاخص من مصدرين : ـ الاول ما تصيبه هي من غنى غير مشروع بسبب حصولها المحتوم على فوائدها المقررة على المقترضين ، واجتنابها المساهمة فى مخاطر مشروعاتهم . الثاني ميلها فى اوقات الرخاء الى التوسع فى الاقراض بفتح الاعتمادات التي تربو على رصيدها اضعافا مضاعفة ، وميلها فى اوقات الركود الى التضييق فى الاقراض او الكف عنه خوفا من احتمالات الخسارة والعمل على استرداد قروضها وارغام المقترضين على السداد ، فهذا البسط والقبض الذى تتحكم فيه ارادة القائمين على البنوك ، هو من أهم العوامل التي تهز الكيان الاقتصادي ، وتفضي الى تتابع الازمات .

فالبنوك فى المجتمعات الراسمالية ، بتمويلها للمشروعات عن طريق ارصدة الودائع تستحدث نفعا وتستحدث ضررا فى آن واحد . والنظام الاسلامي حريص كل الحرص على اتقاء الضرر ودفعه ، واجتلاب النفع واستبقائه . فكيف نهتدي بالاصول الاسلامية فى مواجهة هذا الموقف ؟

وهذا هو اقتراحنا ، نستند فيه الى القاعدة الاصولية فى « الاصلاح الاجتهادي » اقتراح يحتمل الخطأ والصواب ، نعرضه فى جملته لاستبانة وجه الحق فيه : ـ

الودائــع النقدية التي يوعها الافراد فى البنوك على نوعين : ــ

النوع الاول : ــ الودائع التي تودع بقصــد الاحتفاظ بها فى مكــان أمين ، ويجري المــودع السحب منها تباعا . وهــذا مــا يسمى فى العرف المصرفي بالحساب الجــاري ، « ودائع تحــت الطلب » وهذه لا تدفع عنها البنوك اية فائدة الا فى النادر الذي لا يقاس عليه وتحصل عليهــا عمولة مقابــل تكاليف الحفظ وتكاليف الرصــد فى الدفاتــر ... الخ .

هذا النوع من الودائع يخرج عــن موضوع بحثنا ، اذ لا تجري عليه فائدة للمودع .

أما النوع الثاني من الودائع : ــ فهــو الذي يكون ذا أجل معلوم ، أى ليس تحت الطلب الابعد فترة معينة يحددها المودع عند ايداعه ، ولذايملك البنــك التصرف فيه خلال هذه الفترة على ان يرد مثله عند انقضائها . وهنا يقــرر البنك للمودع فائدة على المبلغ المودع منه على هذا الوجه ، فائدة ضئيلــة تتــراوح بــين ٢/١ و ٤/٣ و ١٪ على الاكثر من رأس المال المــودع . وبالمبالغ التي تتجمع مــن هذه الودائع يقــوم البنك بالاقراض منها بفائــدة مرتفعة لعملائه الذين يسددون للبنك أصــول قروضهم مع الفوائد المفروضة عليهــم ويكــرر البنك هذه العمليات تباعــا ، فالقروض تخرج من هذا الرصيد تباعا وترتد اليه تباعا .

هذه العمليات ــ سواء من المــودع الذي يكسب فوق اصل ماله فائــدة منخفضة السعر ، او من البنك الذي يقرض عملاءه ويكسب فــوق اصــل القرض فائدة مرتفعة السعر ــ وهي فى رأيي عمليات ربوية، فالزيادة فى أصل المال جاءت بغير مساهمة من المــودع أو مــن البنك فى مخاطر أى اســتثمار بل تحملها المقترض وحده فيما باشره من استثمار مكنه من أداء الفائدة المفروضة عليه ، ولم يكن فى نية المودع وهو يودع ماله فى البنك ، ولا فى نية البنك وهو يقــرض عملاءه أن يســاهما فى هــذا الاستثمار بطريق توكيــل المقترض فى مباشرة الاستثمار نيابة عنهما ، فانــه يمنع قيام هذه النية عندهما انهما لم يعتزما من البداية المساهمة فى مخاطر هذا الاستثمار ، بل كان تقديم رءوس الاموال الى المقترضين ــ من المودعين بطريقغير مباشر ،ومنالبنك بطريقمباشر ــ على اساس اداء فوائد معينة ، سواء نجحت المشروعات موضوع القرض أو فشلت .

كيف نستعيض عــن هــذا كلــه باجراءات تكفل نفعه ، وتدفع ضرره ، وتمحق أثمــه ، وتستقيــم مع حكــم الشرع الاسلامي ؟

الآن نتقدم باقتراحنا ونلخصه على الوجه الآتى : ــ

١ ــ الودائع ذات الاجل ــ أى ودائع النوع الثانى السالف الذكر ــ التى يودعها الأفراد لدى بنك أو أى مؤســـسة مالية بأى اسم تسمت يودعونها بنية توجيهها واستغلالها فى استثمارات مشروعة فيكونون بذلك هم « رب المال » فى عقد « المضاربة » والبنك من جانبه (او المؤســسة) يكون هو « المضارب » فى هذا العقد ، ثم يمضى البنك فى استثمارها بتوجيهها بدوره فى المشروعات التي يتخيرها ، أى ان عقد المضاربة اتخذ هنــا الصورة المطلقة التي اشرنا اليها من قبل ، والتي تجيز للمضارب ان يوكل مضاربا آخر من باطنه فى هذا الاستثمار .

والبنك يعتبر جميع الودائع التي لديه رصيدا متجدد الامتلاء ــ بحسب توالى ايداع الودائــع وخروج القروض منها ثم ارتداد هذه القروض الى أصول الودائع عند السداد ــ ويضم البنك الى رصيد الودائع ما يكون نقدا سائلا من راس ماله . ويجعــل من هذيــن المصــدرين رصيدا

مشتركا ، يقدمه قروضا واعتمادات الى افراد او هيئات تباشر او تعتزم مباشرةمشروعات استثمارية او التوسع فى مشروعاتهم القائمة .

ويساهم البنك مع اصحاب هذه المشروعات فىالربح المرتجى وفى الخسارة المحتملة بنسبة يتفق عليها الطرفان ، وتحديد هذه النسبة موكول الى فطنة القائمين على البنك والى محض اختيارهم .

١ ــ هذه المشروعات الاستثمارية بعضها قد ينجح نجاحا كبيرا ، وبعضها قد ينجح نجاحا معتدلا ، وبعضها قد يفشل فلا يأتي بأى ربح ، وقد تتغير هذه النتائج من سنة الى اخرى ففي كل سنة مالية ، أو اذا استقر العرف المصرفي على اجل أقصر ، يقوم البنك أو المؤسسة المالية بتسوية شاملة بين أرباح وخسائر جميع المشروعات الاستثمارية التي وظف فيها اموالا من هذا الرصيد المشترك .

والصافي بعد هذه التسوية يخصم البنك منه أولا مصاريفه العمومية بما فيها الاحتياطيات القانونية . ثم يحدد نصيب الربح الذى يستحقه حملة أسهم البنك . ثم يوزع الباقي على المودعين بنسبة مبالغ ودائعهم ، والأجل الذى بقيته هذه الودائع فى حوزة البنك وساهمت بمقتضاه فى هذا الاستثمار .

وليس من المتعذر ــ من وجهة الفن المالي ــ تدبير معايير عادلة تهتدى بها البنوك فى اجراء تفصيلات هذه التسوية بين الأرباح والخسائر ،وتفصيلات توزيع هذا الصافي بين مستحقيه ــ من حملة اسهم البنك والمودعين ــ بنسبة استحقاقهم .

وهذا أيضا اشتقاق سليم من عقد « المضاربة » الذى اجازه الشرع الاسلامي .

هذا مجمل اقتراحي فى هذه الناحية من نشاط البنوك والمؤسسات المالية المماثلة . ولا أنكر أنه فى التنفيذ العملي يخالطه بعض التعقيد . فلا شك ان النظام القائم فى البنوك الآن ــ من تحديد فائدة معلومة للمودع وتحصيل فائدة معلومة من المقترض ــ أيسر فى التنفيذ. ولكن شيئا من التعقيد يعدل البعد عن شبهة الربا والنجاة من آثامه ، على ان هذا التعقيد الذى يخشى منه فى البداية سوف يتضاءل تدريجيا ، ويجرى تبسيطه شيئا فشيئا ، كلما درجت عليه البنوك ، ورسمت له المعايير الواضحة ووسائل التبسيط الملائمة ، وكلما ألفه الناس عاما بعد عام فى معاملاتهم المصرفية .

ولا نرى حرجا (تطبيقا لقاعدة الضرورات تبيح المحظورات) فى تدبير فترة انتقال ــ لتكن خمس سنوات مثلا ــ يتحول فى خلالها نظامنا المصرفي ــ فى مباشرته لهذه الوظيفة بالذات ــ من الوضع القائم الى الوضع المقترح ، حتى تنتهي الارتباطات القائمة وحتى تهيأ الترتيبات الفنية والتنفيذية الملائمة.

الى هنا كنا نعالج « الفائدة » من حيث فرضها على قروض انتاجية تتقدم بها البنوك الى عملائها ، لتعاونهم بها فى ميادين الانتاج .

القروض الاستهلاكية

وبقي الآن ان ننظر فى أمر القروض الاستهلاكية التي تقدمها البنوك محملة بالربا الى محتاجين يستعينون بها على مطالبهم المعيشية .

فى هذه الوظيفة المصرفية أقترح أن تكف البنوك عن الاضطلاع بها ، كي يبقى نشاطها دائما فى دائرة التنمية الاقتصادية .

وأرى ان تستأثر بهذه الوظيفة منشآت حكومية تتولى جباية الزكاة ـ كلها أو بعضها وتوجه حصيلة ما تجبيه منها الى مستحقي الزكاة في مصارفها المعروفة .

أما غير المستحقين للزكاة ، ممن كانت تدفع حاجاتهم المعيشية الوقتية الى الحصول من البنوك على قروض ربوية قصيرة الأجل . فان منشآت الزكاة تستطيع ان تمدهم ـ بغير فائدة ـ ببعض قروض ذات آجال قصيرة ، يستعينون بها على تفريج كربتهم العارضة على ان يبادروا بردها الى رصيد الزكاة . ويحملهم على الاسراع في سدادها علمهم بأنها سترتد الى رصيد مخصص لمستحقي الزكاة ، علاوة على ما قد تطلبه منهم المنشأة من ضمانات الوفاء .

كذلك نلاحظ ان رصيد الزكاة سوف يتغذى بمورد آخر فياض : فانه ما دام المجتمع الاسلامي قائما بالقسط على اداء ما تفرضه الملكية من التزامات ايجابية وسلبية . فان رصيد الزكاة سوف يتغذى باستمرار بتبرعات متوالية من المنفقين في سبيل الله . وقد يتألف من هذه التبرعات ذخر ثمين يساعد منشآت الزكاة على مواجهة هذه الوظيفة الثانية : **اقراض غير المستحقين للزكاة بغير « فائدة » .**

يتضح مما قدمت في اقتراحي هذا ان الفكرة الغالبة فيه هي احلال التكافل الوثيق بين طبقات المجتمع الاسلامي بالنسبة للقروض الاستهلاكية ،والتعاون المثمر بين رأس المال والعمل بالنسبة للقروض الانتاجية ، محل بعض وظائف النظام المصرفي السائد في الاقتصاد الغربي .

فالزكاة ، والانفاق في سبيل الله ، سوف يقضيان على الحاجة الى عقد قروض استهلاكية ربوية .

أما في القروض الانتاجية فالمال الذى اودعه صاحبه في بنك لن ينال عنه « فائدة » ثابتة تتسم بسمات الربا المنهي عنه ، بل ربحا عادلا يتكافأ مع الدور الذى أداه ماله في التنمية الاقتصادية وهذا بلا شك تشجيع كاف لكل مدخر على موالاة الادخار ـ العنصر الأساسي في تكوين رأس المال القومي .

والبنك من جانب آخر ـ بما فيه مساهموه ـ سينال ربحه المشروع ، جزاء وفاقا على ما بذل من جهد بصبر وفطنة واعية في توجيه مال المساهمين ومال المودعين في استثمارات مجزية .

هذه الروح التعاونية التي تجمع بين رأس المال والعمل في تحالف سليم هي روح اسلامية خالصة . وقد بدأت بعض الدول الاسلامية ـ وجمهوريتنا العربية المتحدة في طليعتها ـ في سعيها الى بعث اقتصادى شامل : بدأت تجعل لهذه الروح التعاونية بين العمل ورأس المال المقام الأول في برامجها الاقتصادية . فأنشأت البنوك التعاونية في اهم ميادين الانتاج ، ووجهت البنوك القائمة في هذا الاتجاه التعاوني ، كما جعلت المؤسسات التعاونية تباشر وظائف مصرفية على هذا النهج التعاوني ، وبثت فروع هذه المؤسسات المختلفة في أرجاء البلاد .

واني اقترح ـ متى قامت هذه المؤسسات التعاونية في كل بلد اسلامي، وعم توجيه البنوك القائمة فيه هذا الاتجاه التعاوني ـ ان يقوم من بين هذه المؤسسات جميعها « بنك تعاوني » للعالم الاسلامي ، تساهم في رأس ماله جميع البنوك والمؤسسات ذات الصبغة التعاونية في سائر الاقطار الاسلامية ، لكي يؤدي الرسالة التي نكث عن القيام بها البنك الدولي للانشاء والتعمير (او قام بها في بلدان دون بلدان أخرى) .

وعندما نتذكر مصادر الثروة الضخمة الكامنة في الاقطار الاسلامية ، والتي لا يزال اكثرها مغمورا عقيما ينتظر فيضا من رؤوس الأموال لاستثماره ، لا يخالجنا شك في ان انشاء هذا البنك التعاوني العالمي الاسلامي سيكون نقطة التحول في بعث الأمة الاسلامية .



الإسلام ومقومات الحضارة

ـ ١ ـ

ان الحضارة السليمة : هي الحضارة التي استكملت جميع مقوماتها ، ولا خلاف بين ذوى الآراء المستنيرة فى أن مقومات الحضارة الأساسية انما ترجع الى أربع : العلم ، ومما لا شك فيه ، أنه لا يتأتى أن تقوم حضارة بدون علم ، والعلم اذن : هو الأساس الأول الذى تبنى عليه الحضارات ، بل انه قد تقوم حضارة ما على العلم وحده ، فيكون العلم : هو المقوم الوحيد لهذه الحضارة ، ولكنها تكون حضارة ناقصة ، بل تكون حضارة بتراء .

والمقوم الثاني للحضارة الذى لا تقل أهميته عن أهمية العلم ، والذى اذا وزنا الأمور بمقاييس الروح وقسناها بموازين اسعادالانسانية ، يفضلُ العلم المادى ، هو الجانب العقدى .

والعقيدة اذن هي : المقوم الثاني للحضارة ، فاذا ما انتفت العقيدة ، وزالت فقامت الحضارة على العلم وحده ، فان الانسانية تشقى بها شقاء لا يعوضه ما تجد من ترف مادى يكفله لها العلم المادى .

بيد أن العقيدة اذا ما أصبحت شكلا ورسما ، أو صورة وهيكلا ، فانها لا تفيد كثيرا فى أن تسم الحضارة بسمة الروح الحقة ، أو تطبعها بطابع الانسانية الكريمة ...

ولا بد اذن من الجانب الثالث وهو الأخلاق ، وما من شك فى أن الاخلاق بدون عقيدة ، لا تقوم لها قائمة ، وانما تكون سفسطة ، لا غناء فيها ، أو فلسفة جدلية ، لا تنبع من القلب ، ولا تثبت أمام تيارات الأهواء .

ان الرحمة والاخاء ، وان المودة والتعاون وان الشجاعة والكرم ، وان الفضيلة على وجه العموم ، وان الخير فى صوره المتعددة ، ان كل ذلك لا يكون وليد دراسات فلسفية ولا نتاج جدل كلامي .

والأخلاق التي تكون مقومة للحضارة اذن ، مؤثرة على القلب ، غامرة للكيان

للأستاذ الدكتور عبد الحليم محمود
عميد كلية أصول الدين
جامعة الأزهر

الانساني : انما هي الأخلاق الدينية ، فاذا ما انفصلت الاخلاق عن الدين ، فانها لا تساوى ، فى موازين الرحمة والاخوة ، أو بتعبير أدق فى عالم القلوب والارواح قلامة ظفر .

ان الانسان لا يخضع فى سلوكه الأخلاقي للفلسفة ، وهي متعارضة مختلفة ، وهي تذهب فى الشرح والتعليل والتوجيه كل مذهب ، وهي تنقض اليوم ما أبرمته بالأمس ، وتنقض غدا ما أبرمته اليوم .

ان الفلسفة ــ هكذا وجدت ، ونمت وتطورات ، واستمرت ــ متأججة ، لا دوام لها على رأى ، ولا استقرار لهاعلى حال .

واذا كانت العقيدة التيءنعنيها ويعنيها المصلحون ، كمقوم للحضارة : انما هي عقيدة من وحي السماء ، فان الأخلاق التي نعنيها والتي يعنيها المصلحون المخلصون انما هي من وحي السماء .

أما المقوم الرابع ، فانه التشريع العادل : والتشريع العادل ، هو التشريع الذى يلم واضعه بظروف الانسان وطبيعته وفطرته الماما كاملا ، فيصدر التشريع على علم تام ، ولا يتأتى ذلك لبني البشر ، وتشريع بني البشر ــ حسبما شاهد المشاهدون ــ لا يقود الناس للخضوع له عن طواعية واختيار ، بل يقودها للطاعة رهبة القانون ، وهي كلما أنست من نفسها استطاعة الفرار من طائلة القانون أخلت به ، وكلما أنست من نفسها المقدرة على هدم أسوار القانون هدمته ....

ولا بد أذن من تشريع تنقاد له الانسانية طواعية واختيارا وهو التشريع الالهي :

العلم ، والعقيدة ، والأخلاق ، والتشريع : تلك هي مقومات الحضارة السليمة ، وكل حضارة لا تتوفر فيها هذه المقومات ، فانما هي حضارة ناقصة بمقدار نقص مقوماتها .

ــ ٢ ــ

فلننظر الآن فى الاسلام فى ذاته ، وفي الاسلام من خلال التاريخ حتى نتبين مدى تضمنه لهذه المقومات ، ومدى تحقيقه لها على مر الزمن مقارنين كل ذلك بالحضارة الحديثة .

ونبدأ بالعلم . ولا ريب فى أن الحضارة الحديثة ، بدأت فى قوة جارفة بمنهجين فى العلم يختلفان ويتعارضان ويتنازعان

أحدهما : المنهج الحسي التجريبي ، أو المنهج البيكوني .

والثاني : المنهج العقلي البدهى ، أو المنهج الديكارتي أو المنهج الحدسي حينما نفسر الحدس ، كما فسره المناطقة بأنه انتقال الذهن الى المطلوب بسرعة .

وكل من المنهجين نشأ معارضا ، لمنهج القياس الأرسطى :

وكل منهما يرى أن القياس الأرسطي : انما يعني بالصورة والشكل ، ولا شأن له بالحقيقة والجوهر ، بل ولا شأن له بالواقع والتطبيق . ومن أجل ذلك سمي بالمنطق الصورى : أى منطق الصورة لا الجوهر .

والمنهج البيكوني : هو منهج علمي .

أما المنهج الديكارتي : فانه منهج فلسفي .

وسنتحدث عن منهج ديكارت ان شاء الله ، حينما نتحدث فى مقال تال عن العقيدة أما الآن فسنقصر الحديث على المنهج التجريبي :

انه منهج الاستقراء أى تتبع الجزئيات ـ عن طريق التجربة فيما يمكن أن يخضع للتجربة ، وعن طريق الملاحظة فيما لا يتأتى أن يخضع للتجربة ـ للوصول الى الحكم عليها فى صورة من صورها حكما كليا أو ـ بعبارة أخرى ـ للوصول الى اكتشاف القوانين العامة ، أو للوصول الى معرفة نواميس الكون .

ومجال الاستقراء : انما هو الطبيعة ، لأنه ملاحظة جزئيات فى عالم الطبيعة .

وأداته الحس ، فهو ملاحظة محسوسات .

ـ ٣ ـ

وعلى أساس من هذا المنهج قامت الحضارة الأوروبية الحديثة بكل ما فيها من صناعة فى الطبيعة ومن اكتشافات فى الكيمياء ، ومن قوانين فلكية ، من اختراعات فى جميع المجالات المادية والحسية .

وعلى أساس من هذا المنهج أيضا ستتطور هذه الحضارة وترقى وتتسع كما وكيفا الى ما شاء الله .

وهذا المنهج فى المشهور المتعارف يدين فى وجوده الى « فرنسيس بيكون » ولكنه عند الدارسين لتاريخ الفكر الأوروبي يدين « لروجر بيكون » ، أكثر مما يدين لغيره ، والملاحظون الدارسون للعلوم يرون أن روجر بيكون كان أدق وأعمق فى بيان المنهج وفى تطبيقه .

بيد أن روجر بيكون ـ على خلاف مواطنيه ـ يعترف فى صراحة لا لبس فيها ، وفى وضوح لا شائبة فيه أنه مدين فى منهجه للعرب وللحضارة العربية .

وهذه الحقيقة التي حاول الغربيون جاهدين أن ينكروها ، ويخفوها فيما مضى يعلنها الآن بعض المنصفين منهم ، فها هو ذا الأستاذ « بريفولت » يتحدث فى كتابه : « بناء الانسانية » عن أصول الحضارة الغربية فيقول :

ان روجر بيكون درس اللغة العربية ، والعلم العربي ، والعلوم العربية ، فى مدرسة اكسفورد ، على خلفاء معلميه : العرب فى الأندلس .

وليس لروجر بيكون ولا لسميه الذى جاء بعده الحق فى أن ينسب اليهما الفضل فى ابتكار المنهج التجريبي ، فلم يكن روجر بيكون : الا رسولا من رسل العلم والمنهج الاسلاميين الى اوروبا المسيحية ، وهو لم يَمَلّ قط من التصريح : بأن تعلم معاصريه للغة العربية ، وعلوم العرب : هو الطريق الوحيد للمعرفة الحقة .

والمناقشات التي دارت حول واضعي المنهج التجريبي . هي طرف من التحريف الهائل ، لأصول الحضارة الأوروبية .

وقد كان منهج العرب التجريبي ، فى عصر بيكون : قد انتشر انتشارا واسعا ، وانكب الناس فى لهف على تحصيله فى ربوع أوروبا :

ويقول بريفولت أيضا :

« لقد كان العلم ، أهم ما جادت به الحضارة العربية على العالم الحديث : ولكن ثماره كانت بطيئة النضج .

ان العبقرية التي ولدتها ثقافة العرب فى اسبانيا . لم تنهض فى عنفوانها الا بعد مضي وقت طويل على اختفاء تلك الحضارة وراء سحب الظلام .

ولم يكن العلم وحده : هو الذى أعاد الى أوروبا الحياة ، بل ان مؤثرات أخرى كثيرة من مؤثرات الحضارة الاسلامية : بعثت باكورة أشعتها الى الحياة الأوروبية[1] .

أخذت أوروبا المنهج العلمي المادى عن الاسلام باعتراف واضع هذا المنهج نفسه ، وباعتراف المنصفين من المؤرخين وليس بعد اعتراف واضع المنهج نفسه مقال لقائل .

ومع ذلك فان المنهج الاسلامي ، أكمل وأتم ، وأشمل ، وقد أخذته أوروبا ناقصا ، وفي المقال التالي ان شاء الله ، سنتحدث عن موقف الاسلام من العلم وعن المنهج العلمي فى الحضارة الاسلامية فى عمومه وشموله .

وبالله التوفيق

---

١ — انظر كتاب التجديد الديني فى الاسلام للدكتور اقبال ترجمة الأستاذ عباس محمود .

الإسلام دين ودنيا

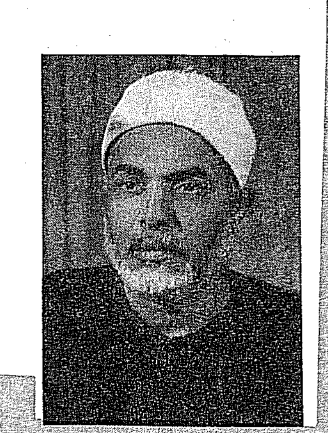
الاسلام شريعة الله الخالدة التي ختم الله بها شرائعه السماوية، ودستوره الأعظم هو القرآن الكريم ، والسنة الصحيحة الثبوت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وهو فى هذين الأصلين العظيمين ــ القرآن والسنة ــ نراه دينا عمليا ، ينظر الى الحياة نظرة اجتماعية ، تثير فى الناس عوامل التسابق الى الخير والتنافس فيه .

والعمل للدنيا اذا قام على أصول الهداية الشرعية ــ يراه الاسلام تدينا وعبادة ، يحث عليه حثا شديدا ، ويطلبه طلبا مؤكدا ، ولم يقيد الاسلام الناس فى طلبهم الدنيا والعمل لها باكثر من أن تكون حلالا طيبة ، ولم يقيد العمل لها باكثر من الاخلاص وحسن النية .

وقد فهم المسلمون الأولون من الصحابة والتابعين الذين كانوا يُحكّمون الاسلام فى حياتهم وكان الاسلام يعيش معهم ممثلا فى أعمالهم ــ الدين هذا الفهم الواعي ، فلم يعطلوا سنن الله فى الحياة ، ولم يقعدوا عن العمل لاصلاح دنياهم ، منقطعين فى صوامع التعبد ، تاركين السعي فيما ينفعهم ، وينفع أمتهم ، بل شمروا عن سواعد الجد فى العمل للدين والدنيا ، وكانوا يرون أن فى العمل للدنيا عصمة للدين وعدة المجاهدين ، فاستثاروا خزائن الارض ، وضربوا فى أرجائها ، ومشوا فى مناكبها يبتغون من فضل الله استجابة لداعى ارشاده فى قوله تعالى « فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الارض وابتغوا من فضل الله » وعملا على تقدير انعامه ، وشكرا لمننه فى قوله تعالى : « هو الذى جعل لكم الارض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه » وتمجيدا لنعمة تسخير قوى الطبيعة لمنافع الناس وحاجاتهم ، مما امتن به القرآن الكريم على الانسان تحقيقا لخلافة الله فى الارض فى قوله تعالى « وهو الذى خلق لكم ما فى الارض جميعا » وقوله تعالى « الم تروا أن الله سخر لكم ما فى السموات وما فى الارض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة » .

وفى هاتين الآيتين من الحث على العمل للدنيا ما لو عمل به المسلمون لكانوا



لفضيلة الشيخ محمد صادق عرجون
وكيل المدير العام للمعاهد الازهرية

يعرض هذا المقال لحقائق مبسوطة فى القرآن والسنة ، منذ عرفهما المسلمون ، ولكن غفلتهم عن هذه الحقائق وبعد حياتهم عن الأخذ بها ، وكثرة التهم التي توجه للاسلام من أجل سلوك أهله ، كل ذلك أحوجنا الى أن ننبه الى هذه الحقائق ، حتى يقيم المسلمون حياتهم عليها ، ويستمدوا نهضتهم ووثبتهم منها ، ليكونوا دائما فى رحاب الله ...
« الوعي الاسلامي »

اليوم فى الرعيل الاول ، وطليعة الامم الراقية علما وقوة وكمالا .

وليتأمل القارىء من الآيتين قوله تعالى « خلق لكم » وقوله « سخر لكم » ليرى بنافذ بصيرته أن الله الذى خلق الطبيعة ، وأودع فيها من القوى والاسرار ما حير العقول ، وأدهش العلماء قد بسط سلطان السيادة عليها للانسان ، وجعلها مخلوقة لأجله ، ومسخرة له ، ليكشف عن سرائرها ، ويستخدم قواها فيما ينفعه ويرفع شأنه ويرفه عيشه ، وفى هذا من أسرار المعارف الانسانية ، ومطارحات الأفكار ومدارك العقول ما يعد فى نظر العلم من أعظم معجزات القرآن الكريم — ولكن المسلمين منذ أعرضوا عن العمل للدنيا ، وانقمع سلطانهم عن خلافة الله فى الارض ، فتقوضت دولتهم الموحدة لم يفهموا من اسرار القرآن العلمية وبارع حكمه فى آياته الآفاقية ما كان يفهمه الصدر الأول من أسلافهم الذين لم يضيعوا الدين للدنيا ، ولم يطرحوا الدنيا للدين .

وقد كان صفوة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يشتغلون بالتجارة والزراعة ، ويحترفون شتى الصناعات ، وكانت لهم أموال نامية ، وثروات طائلة ، يؤدون فيها حق الله تعالى وحق القرابة ، وحق الجار والصديق ، وحق الوطن وأخوة الاسلام .

النشاط الإسلامي ينهض بالمجتمع

وقد تولى أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه الخلافة وهو يحترف التجارة . روى البخارى عن عائشة رضي الله عنها قالت : لما استخلف أبو بكر الصديق قال : لقد علم قومى أن حرفتي لم تكن تعجز عن مؤنة أهلي ، وشغلت بأمر المسلمين ، فسيأكل آل ابي بكر من هذا المال ، ويحترف فيه للمسلمين . وروى ابن سعد قال : لما استخلف ابو بكر رضي

الله عنه أصبح غاديا الى السوق وعلى رأسه أثواب يتجر بها ، فلقيه عمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح رضي الله تعالى عنهما ، فقالا : كيف تصنع هذا وقد وليت أمر المسلمين ؟ قال : فمن أين أطعم عيالى ؟ قالوا : نفرض لك، ففرضوا له شطر شاة .

وكذلك كان عمر بن الخطاب تاجرا يعمل فى التجارة عمل المجتهد القوى حتى كان يقول:ألهاني الصفق بالاسواق، يعني الخروج للتجارة ، ولما تولى الخلافة أرسل الى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم : اني كنت امرأ تاجرا ، وقد شغلتموني بأمركم هذا ، فما ترون أنه يصلح لي من هذا المال ؟ فقالوا : لك ما يصلحك ، ويصلح عيالك بالمعروف . ليس لك من هذا الأمر غيره .

وكان عثمان بن عفان ، وعبد الرحمن ابن عوف ، والزبير بن العوام : وطلحة بن عبيد الله من أكثر تجار المسلمين فى الصدر الأول أموالا ، وأوسعهم ثراء حتى قيل ان ربع الثُمُنِ فى تركة بعضهم بلغ ثمانين ألفا .

وكان الأنصار أهل غرس وزراعة ، يعملون فى حوائطهم ومزارعهم بأنفسهم فكثرت منها أرزاقهم واتسع ثراؤهم ، فواسوا اخوانهم المهاجرين ، وأيدوا دعوة الاسلام ، وأنفقوا فى سبيل الله . روي أن النبي صلى الله عليه وسلم لما أقبل من تبوك استقبله معاذ بن جبل ، فصافحه فأحَسَّ النبي صلى الله عليه وسلم فى كفه خشونة ، فقال له : كنبت يداك — أى غلظت — فقال معاذ : نعم أحترث بالمسحاة ، وأنفقه على عيالي ، فقبله وقال يد لا تمسها النار . روى البخارى عن ابى هريرة قال يقولون : ان ابا هريرة يكثر الحديث ، والموعد الله، ما للمهاجرين والانصار —لا يحدثون مثل أحاديثه ؟ وان أخوتي من المهاجرين كان يشغلهم الصَّفْقُ بالأسواق ، وان اخوتي من الأنصار كان يشغلهم عمل اموالهم ، وكنت امرأ مسكينا ألزم رسول الله صلى الله عليه وسلم على ملء بطني ، فأحْضُر حين يغيبون وأعى حين ينسون .

ومن عظيم عناية الاسلام التي تجعل العمل للدنيا من الدين أننا نجد القرآن الكريم يحث على الاخذ بأسباب الرزق والمرابحة فى مواطن العبادة ومواسم الطاعة ، قال الله تعالى : (ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم) قال ابن عباس أي فى مواسم الحج روى البخارى فى سبب نزولها عنه قال : كان ذو المجاز وعكاظ متجرى الناس فى الجاهلية ، فلما جاء الاسلام كأنَّهم كرهوا ذلك — فنزلت الآية .

العمل للدنيا من الدين

وليس أدل على تقدير الاسلام للعمل للدنيا من أن الله تعالى جعل التجارة باعثا من بواعث الحج ، وحكمة من حكمه فقال (ليشهدوا منافع لهم) قال مجاهد: المنافع هنا هي التجارة ، وجعلها من آياته الدالة على عظيم قدرته ، وباهر عظمته ، لما فيها من التقلب والتصرف فى البر والبحر ، والحل والترحال ، فقال عز شأنه : (ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله) ، وقد وصف القرآن بها المؤمنين فى مقام التنويه بما هي عليه من عمل الخير ، وجعلها من فضل الله فقال جلت حكمته : (وآخرون يضربون فى الارض يبتغون من فضل الله) . وقد عظم النبي صلى

الله عليه وسلم منزلة التاجر الصدوق فقال : (التاجر الصدوق مع النبيين والصديقين) .

وكما عني الاسلام بالتجارة ـ وهي من أهم أعمال الدنيا ـ عني بالزراعة وحض عليها ، ورغب فيها روى مسلم فى صحيحه عن جابر بن عبد الله قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (لا يغرس مسلم غرسا ولا زرعا ، فيأكل منه سبع أو طائر أو شيء الا كان له فيه أجر) وذكرها القرآن فى معرض الامتنان والتدليل على بديع صنع الله تعالى فقال (أفرأيتم ما تحرثون أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون ؟) .

وكذلك عظم الاسلام شأن سائر الصناعات والحرف على اختلاف فنونها. روى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه نظر الى رجل يقال له أبو رافع يحترف الصياغة، فوجده يقرأ ويصوغ فقال له : يا أبا رافع انت خير مني ، تؤدى حق الله تعالى ، وحق مواليك ـ وروى أن وفد عبد القيس لما قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم سألهم : ما المروءة فيكم ؟ قالوا العفة والحرفه ، وكان عمر بن الخطاب اذا نظر للرجل فأعجبه سأل : اله حرفة ؟ فاذا قالوا : لا سقط من عينه.

ومن تعظيم الاسلام لمرافق الارزاق ومجامع الاموال ، واعتبار العمل للدنيا من الدين انه جعل التجارة والزراعة ، وسائر أصناف الصناعات من فروض الكفاية التي يجب على الامة القيام بها ، والتي لا بد ان يوجد فى أبنائها من يسد حاجتها ، ويكفيها أمرها حسبما يقضي به عصرها ، ولا سيما الصناعات العلمية وصناعات الدفاع وحماية الأوطان . قال الله تعالى (واعدوا لهم ما استطعتم من قوة) ـ ونحن فى عصر تتسابق فيه الامم لترقية صناعاتها ، وتنمية تجاراتها واكثار مزروعاتها ، ولا يمكنا اللحاق بها الا اذا نافسناها فى طرائقها ، وأعمالها فى حدود تعاليم ديننا وشريعتنا .

وقد كان المسلمون الأولون فى عصر الصحابة والتابعين من أحرص الناس على استصلاح أموالهم وما خولهم الله من نعمة الدنيا ، لعرفانهم قدرها فى حفظ الدين والكرامة وعزة الاوطان ، ومواساة الاخوان ، وأداء الحقوق والواجبات ، واكتساب المودات . قال سعيد بن المسيب وكان يتجر فى الزيت ـ ولأني عتبه بن ابي سفيان ماله بالحجاز فقال : تعهد صغير مالي يكبر ، ولا تجف كبيره فيصغر فانه ليس يمنعنى كثير ما فى يدى من اصلاح قليل مالي ولا يشغلني قليل ما فى يدى عن الصبر على كثير ما ينوبني .

وكان زياد بن أبي سفيان يقول : لو ان لي الف الف درهم ولي بعير أجرب لقمت به قيام من لا يملك غيره . وقال عمر بن الخطاب : أصلحوا ارزاقكم ، فان فى الأمر متنفسا ، ويروى أن قوما أتوا قيس بن سعد الانصارى يسألونه حمَالة (اى دية يحملها عنهم) ـ وكان أحد أجواد الاسلام ، فصادفوه فى حائط له يتتبع ما يسقط من الثمر ، فيعزل جيده ورديئه ، فقاموا حتى فرغ ، فكلموه فى الذى جاءوا له ، فبذل لهم ما أرادوا ، فقال بعضهم : صنيعك هذا مناف لما رأينا من فعلك ، فقال لهم قيس رضي الله عنه : بما رأيتم من فعلي أمكنني أن أقضي حاجتكم .

فليتأمل أبناء وطننا واخواننا فى أقطار الاسلام صنيع أسلافنا الاماجد وما كانوا

عليه من العمل للدنيا مع العمل للدين ، وقد ملكوا الدنيا وسادوها ، وما يطالعنا به تاريخهم من الحرص الموفق فى مباشرة تثمير دنياهم واستصلاح أموالهم ، ليؤدوا فيها الحقوق والواجبات ، ويرفعوا بها شأن أمتهم وأوطانهم .

كلكم خير منه

والاسلام حارب البطالة والكسل ، وطارد الاستجداء والتعطل ، وحث على الجد والعمل ، بل جعل العمل للدنيا فى سبيل الكرامة والعزة أفضل من أمهات العبادات فى التطوع .

روى عن ابن عباس رضى الله عنهما : أن قوما قدموا على الرسول صلى الله عليه وسلم فقالوا : ان فلانا يصوم النهار ، ويقوم الليل ويكثر الذكر : فقال أيكم كان يكفيه طعامه وشرابه فقالوا : كلنا . قال : كلكم خير منه . روى البخارى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده ، وان نبىالله داود عليهالسلام كان كانيأكلمن عمل يده) . وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ((لأن يحتطب أحدكمحزمة علىظهره خير من أن يسأل أحدا فيعطيه ، أو يمنعه)) .

روى أبو داود فى سننه قال : أتىرجل من الانصار يسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له : أما فى بيتك شىء ؟ قال : بل حلس نلبس بعضه ، ونبسط بعضه ، وقعب نشرب فيه الماء ، فقال ائتنى بهما ، فأتاه بهما ، فأخذهما صلى الله عليه وسلم بيده وقال : من يشترى هذين ؟ قال رجل : أنا آخذهما بدرهم ، قال النبى صلى الله عليه وسلم من يزيد على درهم ؟ مرتين أو ثلاثا قال رجل : أنا آخذهما بدرهمين ، فأعطاهما اياه ، وأخذ الدرهمين ، فأعطاهما للانصارى ، وقال له اشتر بأحدهما طعاما ، فانبذه لأهلك ، واشتر بالآخر قدوما فأتنى به، فأتاه به ، فشد فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم عودا بيده ، ثم قال له اذهب ، واحتطب ، وبع ، ولا أرينك خمسة عشر يوما ، ففعل ، ثم جاء وقد أصاب عشرة دراهم ، فاشترى ببعضهما طعاما ، فقال له النبى صلى الله عليه وسلم ، هذا خير لك من أن تجىءالمسالة نكتة فى وجهك يوم القيامة ، ان المسألة لا تصلح الا لذى فقر مدقع ، أو لذي غرم مفظع ، أو لذي دم موجع .

الفراغ مفسدة

وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول : أحذركم عاقبة الفراغ فانه أجمع للمكروه . ويقول: ان كان الشغل مجهدة فالفراغ مفسدة . ويقول : لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق وهو يقول : اللهم ارزقنى وقد علمتم أن السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة ، وان الله تعالى يرزق الناس بعضهم من بعض ، وكان عمر يحب القوة فى العمل ويكره التماوت والاستضعاف . روى أنه نظر الى رجل يتخاشع،ويتماوت ويظهر نسكا وتعبدا، فخفقه بالدرة وقال : لا تمت علينا دينا ــ أماتك الله ، وكان يقول : يا معشر القراء ارفعوا رؤوسكم، لا يزيد الخضوع على ما فى القلب . وكان ينصح المسلمين بعلو الهمة فيقول : اجتهد ألا تكون دنىء الهمة ، فاني ما رأيت شيئا أسقط لقوم من تدانى الهمة ، ويقول : ليس خيركم من عمل للآخرة وترك الدنيا أو عمل للدنيا وترك الآخرة ــ ولكن خيركم من أخذ من هذه ومن هذه .

بعضهم على بعض فى الجراحات للمصلحة لانه لا يشهد لعبهم ــ عادة ــ غيرهم وان لم يتوافر البلوغ وهو من شروط قبول الشهادة (١) .

وقال الشافعية بجواز اتلاف الحيوانات التى يقاتل عليها الاعداء واتلاف اشجارهم اذا كانت مصلحة الظفر بالاعداء والغلبة عليهم تستدعى ذلك (٢) ، وعند الحنفية من ضروب الاستحسان ، الاستحسان بالمصلحة ومنه تضمين الصناع ما يهلك تحت أيديهم من أموال الناس مع أن أيديهم أيدى امانة . ومن اخذهم بالمصلحة ما ذهب اليه ابو حنيفة ، فقد قال ابو يوسف عنه ، « قال ابو حنيفة رضى الله عنه : (واذا أصاب المسلمون غنائم من متاع او غنم فعجزوا عن حمله ذبحوا الغنم وحرقوا المتاع ، وحرقوا الغنم كراهية ان ينتفع بذلك اهل الشرك) (٣) وذهب الامام احمد بن حنبل الى نفى أهل الفساد الى بلد يؤمن فيه من شرهم (٤) ، كما افتى بجواز تخصيص احد الاولاد بالهبة لمصلحة معينة كأن يكون مريضا ، او صاحب عيال ، أو طالب علم او محتاجا (٥) ، وقال الفقهاء الحنابلة ان لولي الامر ان يكره المحتكرين على بيع ما عندهم بقيمة المثل عند حاجة الناس اليه ، وله ايضا ان يجبر اصحاب الحرف والصناعاتالتى يحتاجها الناس على العمل بأجر المثل اذا امتنعوا عن العمل .

٩ ــ ومن هذا كله يتبين لنا عظيم مكانة المصلحة فى الشريعة الاسلامية ومدى رعايتها ، فقد قامت الشريعة على اساس تحقيق مصالح الناس وارشدت المكلفين الى اعتبارها وعدها من اصول الاستنباط الفقهى ، وعلى هذا النهج سار فقهاؤها العظام فتركوا ثروة عظيمة من الفقه المبنى على المصلحة ومهدوا الطريق لمن يأتي بعدهم للسير على نهجهم دون تهجم على الشريعة ولا تجاوز للحدود المرسومة للاجتهاد المصلحي ،

والله الموفق للصواب

يشكو الفقر

شكى بعضهم فقره الى بعض أرباب البصائر ، وأظهر شدة اهتمامه به ، فقال له :

« أيسرك أنك أعمى ولك عشرة آلاف درهم ؟ قال : لا

قال : أيسرك أنك أخرس ولك عشرة آلاف درهم ؟ قال : لا

قال : أيسرك أنك اقطع اليدين والرجلين ولك عشرون ألفا ؟ قال : لا

قال : أيسرك أنك مجنون ولك عشرة الاف درهم ؟ قال : لا

فقال له : أما تستحي أن تشكو مولاك وله عندكعروضبخمسين ألفا ؟ »

---

١ ــ بداية المجتهد ج ٢ ص ٣٨٤ .

٢ ــ الاشباه والنظائر للسيوطي ص ٦٠ ــ ٦١ .

٣ ــ الرد على سير الاوزاعي للامام ابي يوسف ص ٨٣ .

٤ ــ المغنى لابن قدامة الحنبلي ج ٦ ص ١٠٧

٥ ــ الطرق الحكيمة ص ٢٢٢ ، ٢٢٦ .

اعرف عدوك

قصة اليهودية كاملة

للاستاذ : فتحي يكن

رئيس تحرير مجلة المجتمع الاسلامي ـ بلبنان

حقيقة يكشفها التاريخ فى وقائعه المثيرة وصفحاته الكثيرة .. بين أمسه ويومه .. ومن خلال ماضيه وحاضره ..

حقيقة لا تزيدها الأيام الا رسوخا ..ولا تكسبها الأحداث الا وضوحا .. انها الاتهام العريض الذى يكشف عن (الدور) الذى تلعبه اليهودية من وراء الأحداث والمؤامرات والفتن ، فى أرجاء الأرض وعلى مر العصور ...

الحقيقة التي تدمغ (اليهود) بأبشع ما يحتوى عليه القاموس من نعوت وأوصاف.

الحقيقة التي حكى عنها (القرآن) ، وتكلمت عنها الأديان ، وتحدث عنها التاريخ ، وشهدت مآسيها وآلامها ودموعها (فلسطين) أرض الأنبياء والرسل ، مهد عيسى ، ومسرى محمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين . *

(اليهودية) وراء كل مؤامرة ... خلف كل فتنة .. سبب كل مأساة ..

(اليهودية) تتحكم بما يملكه أصحابها من امكانيات مادية واعلامية فى مقدرات الدنيا جميعا ، وتخضع لمصالحها السياسات جميعا ، وتفرض وجودها على الدول الكبرى جميعا ...

شهادة القرآن :

ولنبدأ الكشف عن هذه الحقيقة من الأول ..

لقد حكى القرآن الكريم أغرب القصص عن طبيعة هذا الشعب (بني اسرائيل) الناد عن أمر الله ، المتمرد على أبسط قواعد الانسانية والكرامة ...

تحدث عن مجانبتهم الحق ، ومعاندتهم وتكذيبهم وقتلهم الأنبياء والمرسلين والمصلحين وتلذذهم بسفك الدماء .. فقال تعالى (ولقد آتينا موسى الكتاب

منطق القرآن
منطق التاريخ
منطق الأحداث

وقفينا من بعده بالرسل وآتينا عيسى ابن مريم البينات ، وأيدناه بروح القدس ، أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ، ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون) (١) .

« ان الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب أليم » (٢) .

« لقد أخذنا ميثاق بني اسرائيل ، وأرسلنا اليهم رسلا ، كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم فريقا كذبوا وفريقا يقتلون » (٣) .

الجحود والبهتان

وقصّ القرآن الكريم قصة جحودهم وبهتانهم بما يصمهم بالخزي والعار أبد الآبدين ... لقد كفروا بأنعم الله وفضله عليهم ، اذ اخرجهم من أرض الذل والعبودية (واذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم ، وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم) (٤) وخلصهم من بطش فرعون وجنوده (واذ فرقنا بكم البحر فأنجيناكم وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون) (٥) ولكن النفوس الوضيعة والطباع اللئيمة لا يزيدها المنّ والفضل والكرم الا لؤما واعراضا واستكبارا .. فما كاد موسى يتركهم لميقات ربه ، حتى ارتدوا عن دينهم ، وكفروا بربهم ، وعبدوا العجل من دون الله (واذ واعدنا موسى أربعين ليلة ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون . ثم عفونا عنكم من بعد ذلك لعلكم تشكرون) (٦) .

حرصهم على الحياة

ولقد ذكر القرآن الكريم مدى حرصهم على الدنيا ، وحبهم للمال ، وسعيهم لجمعه وكنزه عن أى طريق وبأية وسيلة (ولتجدنهم أحرص الناس على حياة .. ومن الذين أشركوا ، يود أحدهم لو يعمر ألف سنة ، وما هو بمزحزحه من العذاب ان يعمر ، والله بصير بما يعملون (٧) .

بالمال يشترون الذمم .. وبالمال يثيرون الفتن .. وبالمال يحيكون المؤامرات .. وبالمال يهتكون الأعراض .. وبالمال يتحكمون فى سياسة العالم أجمع ..

شهادة الاسلام :

ومكائد اليهود للاسلام ولرسول الأسلام امتلأت بها صفحات التاريخ الاسلامي

١ — ٨٧ سورة البقرة ٢ — ٢١ آل عمران ٣ — ٧٠ المائدة ٤ — ٤٩ البقرة
٥ — ٥٠ البقرة ٦ — ٥١ ، ٥٢ البقرة ٧ — ٩٦ البقرة

فى كل عصر من عصوره ، وفي كل قطر من أقطاره ...

ففي عصر النبوة حاولوا قتل الرسول صلى الله عليه وسلم اكثر من مرة .. ولقد ذكر (ابن هشام) : أن الرسول خرج الى (بني النضير) فى سنة ثلاث ، يستعينهم فى دية قتيلين من بني عامر قتلا خطأ .. فأتمروا به (أى بنو النضير) ليقتلوه وقالوا : مَنْ رجل يعلو على هذا البيت فيلقى عليه صخرة فيريحنا منه ؟ فانتدب لذلك عمرو بن جحاش بن كعب . فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر من السماء بما أراد القوم ، فقام راجعاً الى المدينة .

وهم الذين حزبوا الأحزاب على المسلمين سنة خمس .. فخرج نفر من بني النضير وبني وائل الى قريش ، فدعوهم الى حرب رسول الله ، وقالوا : انا سنكون معكم حتى نستأصله .. ولما قال لهم المشركون : يا معشر يهود : انكم أهل الكتاب الأول والعلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد ، أفديننا خير أم دينه ؟ أجابوهم بكل قحة وضلال (بل دينكم خير من دينه ، وأنتم أولى بالحق منه) فنزل فيهم قول الله ، وحقت عليهم لعنته وعذابه (ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ، ويقولون للذين كفروا ، هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا ، أولئك الذين لعنهم الله ، ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا) (١) .

شهادة التاريخ :

وصفحات التاريخ تلاحقهم باللعنات ، لأنهم كانوا أعداء الانسانية أعداء الحق أعداء الخير ..

فالعداء بينهم وبين (المسيحية) عداء قديم .. فنظرة (التلمود) الى المسيح حقا مؤلمة .. **فهناك شتائم سفيهة فى التلمود لعيسى بن مريم عليه السلام .. فقد زعموا فيه (ان ولادة المسيح غير شرعية ، وكالوا الاهانات لوالدته العذراء .. ووصفوه بأنه ساحر ، وخارج عن الايمان ، ومحروم وخاطىء ، ومسير الجماهير الى الخطيئة ، ومختلس لاسم ((يهوه)) المبارك من قدس أقداس الهيكل . لينعم بالحياة الهانئة ، ويعاقب فى جهنم الى الأبد وسط الأقذار الفائرة) .**

وفى التلمود أيضا صلاة يرددها اليهود ثلاث مرات فى كل يوم هذا نصها : ((ليهلك النصارى وعبدة الأصنام فى لحظة .. ليحذف اسمهم من كتاب الحياة ، وليحسبنهم الرب فى عداد غير الصالحين)) ...

وعندما استولى الفرس على مدينة القدس وأخذوها من البيزنطيين عام ٦١٤ م قتلوا عددا كبيرا من سكانها المسيحيين بتحريض من اليهود . وتقول المخطوطات المسيحية التي كتبت باللغة العربية سنة ١٠٤٠ م وسنة ١٣٢٨ م أن عدد المسيحيين الذين تسبب اليهود فى قتلهم يبلغ (٦٥٠٠٠) مسيحي منهم (٢٤٠٠٠) القي بهم أحياء فى بركة (ماميلا) أو الكهف المجاور لها ..

من فمكم ندينكم :

وقد لا نحتاج الى كثير عناء اذا أردنا التدليل على ما ذكرنا بوثائق من كتبهم ..

---

١ ــ ٥١ سورة النساء

يقول التلمود (ان اليهود قد خلقوا ليحكموا العالم ، ولكن سيادتهم لا يمكن أن تبدأ قبل انتزاع السيادة من زعماء الشعوب الحاكمة ، وقبل أن تنتهي الامبراطوريةالمسيحية التعسة الدنيئة). ويقول (لقد خلق الله غير اليهود فى صورة انسان مع أنهم متساوون مع الحيوان لكي يخدموا اليهود ليل نهار) .

من شريعة موسى

جاء فى تثنيه ح ٢٠ع : (أما مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرب الهك فلا تستبق منها نسمة .. ثم حين تقترب من مدينة لكي تحاربها استدعها للصلح فان اجابتك الى الصلح وفتحت لك ، فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير ويستعبد لك . وان لم تسالمك وعملت معك حربا فحاصرها ، واذا دفعها الرب الهك الى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف ، أما النساء والأطفال والبهائم وكل ما في المدينة كل غنيمتها فتغنمها لنفسك) .

من مزامير داود

وجاء فى المزمور (١٤٩) من مزامير داود (ليبتهج بنو صهيون بملكهم كي ينزلوا نقمتهم بالأمم وتأديباتهم بالشعوب ويأسروا ملوكهم بقيود ، وأشرافهم بأغلال من حديد ، وينفذوا فيهم الحكم المكتوب) .

من بروتوكولات حكماء صهيون

أما عن بروتوكولات حكماء صهيون فحدث ولا حرج .. ويكفي أن ننقل هنا تعليق جريدة (التايمس) اللندنية بعددها الصادر بتاريخ ٨ أيار سنة ١٩٢٠ على هذه البروتوكولات ليدرك القارىء مدى ما انطبع عليه اليهود من لؤم وشر واجرام .. **تقول الصحيفة : (نظم اليهود منذ أجيال تدبيرا سياسيا دوليا . يشتم من ذلك التدبير رائحة البغض التقليدى الدائم للدين المسيحي ، وجشع التسلط على العالم . ان الغاية التي سار اليها اليهود خلال الأجيال هي تهديم الدول والحكومات والاستعاضة عنها بحكم دولي يهودى .. وهذا الحكم الدولي اليهودى الجديد يرى أن الجماعات قطعانا حقيرة من الماشية ، وأن الزعماء السياسيين فى الشعوب الأخرى (الخوارج) هم ألعوبة بأيدى حكماء اسرائيل ،ومن السهل استعبادهم بالتملق والتهديد والمال فى سبيل السيطرة اليهودية ..**

والواقع أن المقررات الصهيونية السرية هي خطة جديدة محكمة سياسية واقتصادية لسيادة العنصر اليهودى على كل ما عداه من العناصر الأخرى .

ففي البروتوكول الخامس (ان الله نفسه قد اختارنا لنحكم العالم) .

وفي البروتوكول التاسع (يجب ألا يكون لطمعنا حد ، ولنكن شديدى التعصب والانتقام لأنفسنا ، انتقاما عديم الشفقة تتأجج فيه نيران البغض) .

وفي البروتوكول الحادى عشر (ليس الخوارج (أى غير اليهود) الا قطيعا من الغنم ونحن الذئاب) .

البقية على ص : ٦٣

عجمة القلب واللسان

للدكتور محمد أديب صالح
المدرس بجامعة دمشق

لا يخفى على باحث منصف ، يريد الحقيقة ، لا يبغي عنها حولا ــ أن الأمة الاسلامية قد تفردت من بين سائر أمم الارض بانها قد وضعت ــ وبشكل مبكر ــ منذ اثنى عشر قرنا أو تزيد ، علما متكاملا يرسم معالم استنباط الاحكام من النصوص ، والاجتهاد فيما لم ينص عليه ــ هو « علم اصول الفقه » بدأ ذلك الامام المطلبي « محمد بن ادريس الشافعي » رحمه الله المتوفى سنة ٢٠٤ هـ ، ثم تتابع البحث من العلماء توسعا وتحقيقا .

فلم يكن لأمة خلت من قبلنا ، ولا لقوم جاءوا من بعدنا مثل هذا العلم ، الذى قام على أساس متين من ضوابط اللغة ، وقواعد الشريعة ومقاصدها ، واحترام الرأي ، وتقدير المصلحة ضمن حدود مرسومة معلومة ، مع افساح المجال لمراعاة الواقع ، وتقديم الحلول لما يجدّ من وقائع ؛ لان النصوص تتناهى ، والوقائع لا تتناهى .

وكان من لب هذا العلم وجوهره مناهج وضعها علماؤنا لبيان معانى النصوص وتفسيرها ، وطرائق دلالتها على الاحكام .

وكان من ذلك قواعد تتناول اللفظ من حيث شموله ، أو عدم شموله أو اشتراكه ، بحثوا ذلك تحت عناوين : العام والمشترك والخاص ، وكان طبيعيا أن يكون كل من الامر والنهى نوعا من أنواع الخاص الذى يدل على معنى واحد على سبيل الانفراد ، أو على كثير محصور .

ولقد عني أئمتنا عليهم الرحمة والرضوان عناية بالغة بمباحث الامر والنهي ، لأن أكثر أحكام الشريعة انما تقوم على : طلب الفعل وطلب الكف (افعل ، لا تفعل) .

وذلك قول شمس الأئمة « السرخسى » ــ وقد بدأ كتابه « الاصول » بالأمر والنهى ــ : (أحق ما يبدأ به فى البيان ، الأمر والنهى ، لأن معظم الابتداء بهما ، وبمعرفتهما تتم معرفة الاحكام ، ويتميز الحلال من الحرام) .

واذا لاحظنا الدقة المنطقية فى مسالك الاستنباط عند أولئك الأئمة ، وما اتسمت به مناهجهم للتفسير والبيان من ادراك كامل لمدلولات اللغة ، ومفهومات الشريعة ، والعلاقة التى تربط بين العربية والشريعة ، تلك الشريعة التى جاءتنا وحيا وبيانا بلسان عربي مبين .

اذا لاحظنا ذلك كله ألفينا الانساق الواضح فى موقفهم من الأمر والنهى ، ما دامت الاحكام التكليفية اكثرها قائم على طلب الفعل أو طلب الكف ، فالطلب ، أمرا كان أو نهيا ، قدر مشترك مبثوث فى نصوص الاحكام من الكتاب والسنة ، حيث ترسم معالم التكليف للمخاطبين .

ولعل من الخير أن نذكر أن الأمر والنهي ، من حيث مداهما والحكم على مدلولاتهما الشرعية كان لهما كبير الأثر فى علم الاجتهاد ، حيث تعددت الانظار فى الاصول وانبنى على ذلك كثير من الاختلاف فى الاحكام والفروع .

هذا : الى ان خروج المكلف من العهدة لا يمكن أن يكون الا بادراك المدلول الذي كان به التكليف ، ولا يتم ذلك الا بضبط الاوامر والنواهي ، بحيث يكون هذا المكلف على بينة من أمره فى اداء المأمور به ، واجتناب المنهى عنه ، وقوفا عند حدود الله .

وانها لجهود مشكورة مبرورة قام بها علماؤنا حين بحثوا ـ فى مجال الامر ـ ماهيته وموقعه من التكليف ، ودلالته ، ومداه من حيث الوجوب أو غير الوجوب، من حيث المرة او التكرار والامر بعد الحظر فى حالتي الاطلاق والتقييد ، الى غير ذلك من مباحث لم تدع شاردة ولا واردة الا تناولتها بالدرس والتمحيص . وقد فعلوا مثل ذلك فى النهي وعرضوا بعده الى أثر النهي فى المنهى عنه ، وما يقتضيه من فساد أو بطلان ، وما الى ذلك مما كان له اكبر الاثر فى الفروع الفقهية عند التطبيق الامر الذى يدعو الى المزيد من التقدير والاعجاب .

مخططات المستشرقين للتشكيك فى الشريعة

واذا كانت الحقيقة فى واقعها امتحانا للنفوس ، فان عظمة التشريع الاسلامي كانت مثار تلمظ شديد حرك كوامن الحقد عند اعداء الاسلام فكان له فى مناهج المستشرقين ومخططاتهم الرامية الى تحقيق أهداف واضحة لكل ذى عينين ، مكان مرموق فى الدس عليه والانحراف فى فهم قواعده وتأويل نصوصه أسوأ تأويل . هذا المستشرق « جولد تسيهر » لايعفى نفسه فى كتابه « العقيدة والشريعة » من الحديث عن الامر والنهي فى الفقه الاسلامي . ولكن كيف كان ذلك ؟ .

ان جولد تسيهر كان مشفقا على المسلمين من قسوة النصوص فى الكتاب والسنة وهو أمر ، أدركه العلماء ـ كما يرى ـ من قبل فكان لا بد من سلوك سبيل يسهل معها التحلل من القسوة التي تبدو فى بعض النصوص .

ولقد كان ذلك فى تنوع مدلولات الأمر والنهى ـ على حد زعمه ـ ذلك التنوع الذى يراه أثرا من آثار التحلل من القسوة الآنفة الذكر .

لقد قرر جولد تسيهر ان العلماء حركوا ذكاءهم؛ ليجدوا مخرجا من المواضع الصعبة التى تمليها على المسلمين نصوص الاحكام القرآنية ، فبعض الامور كانتتخفف أو تطرح ـ كذا ....ـ بواسطة التوسع فى شرح النصوص ، وبواسطة التفسير يرجح الوجوب ، أو المنع فى الفقه .

وزيادة فى ايضاح ما حرك العلماء ذكاءهم من أجله يقرر جولد تسيهر : أن عبارة الأمر او المنع تستخدم للتعبير عن الرغبة والاستحباب ، أو الكراهة وارتكاب ما أمر به فى النصوص ، أو نهي عنه لا يعاقب عليه ، ولا يعد تخطيا للقانون .

وقد مثّل لذلك بقوله تعالى : ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه . (الانعام ١٢١). جاعلا اختلاف الفقهاء فى بعض الاحكام يرتد الى الحرص على التحلل من الالتزام بمدلول النهي ، وايجاد المخرج منه .

جولد تسيهر المزيف

هكذا يحكم جولد تسيهر فى قضية من أخطر قضايا الاصول وكأنه من أبناء اللغة وأئمة الشرع . ولو عدنا نحن الى قواعد الامر والنهي نجد أثر اللغة والعرف الشرعي فى مسالك الاستنباط ، وتخريج الفروع على الاصول باديا واضحا .

وقد قرر علماؤنا ان الاصل فى الامر الوجوب ؛ لان الامر فى اصل العربية التي بها نزل الكتاب حقيقة فى جزم الطلب ، فأهل اللغة متفقون على ذم من يخالف الامر كما يظهر من الاستعمال .

وجاء الشرع ، فأمر ، ورتب على ترك المأمور به المؤاخذة والعقاب — وهكذا كانت دلالة الامر على الوجوب نابعة من اللغة والشرع معا . قال السعد التفتازاني : (الامر حقيقة لغوية فى الايجاب بمعنى الالزام وطلب الفعل وارادته جزما ، وحقيقة شرعية فى الايجاب بمعنى الطلب، والحكم باستحقاق تاركه الذم والعقاب لا بمعنى ارادة وجود الفعل ....) .

ولم يكتف علماؤنا بذلك ، بل أوردوا كثيرا من النصوص ، وفهوم الصحابة والسلف من بعدهم التى تدل على ان الاصل فى الأمر الوجوب ، كما يرى فى قوله تعالى : (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم) الاحزاب ٣٦ وقول الرسول صلى الله عليه وسلم : (لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة) .

وليس أبين من استعمال كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وما فهمه السلف الصالح ، وأدركوه . وهكذا يقرر علماؤنا أنه لا يصرف الامر عن الوجود الى غيره من ندب أو اباحة .... الا بقرينة ، فاذا توفرت هذه القرينة، فلا مانع من ذلك ، والا فلا .

وكما فعل العلماء فى الامر فعلوا فى النهي — وهو يقابل الامر — فأقاموا الادلة من اللغة والشرع على ان الاصل فى النهي ، أنه للتحريم الا اذا قامت قرينة تصرفه عن التحريم الى الكراهة او الاباحة ... فاذا توفرت القرينة صرف النهي الى ذلك الوجه الذى دلت عليه ، والا فلا .

ولكن ما شأن هذا كله وشأن جولد تسيهر ، انه يحاول ان ينصب نفسه للحكم فى قضايا لها اكبر المساس بلغة غير لغته ، وبيان جاء بغير لسانه ، فلقد أراد ان ينقل القضية من ميدانها العلمي حيث تقوم الضوابط على مفاهيم اللغة وقواعد الشريعة ، الى ميدان الاخلاق والسلوك ، ليتهم العلماء بالانحراف بحيث يحولون وجوههم عن الوجوب الى غيره فى الامر ، وعن التحريم الى غيره فى النهي ، جريا وراء الهوى وارادة التحلل من قسوة النصوص .

وما أحسبني أظلم الرجل اذا قررت أن أي باحث توفر له التجرد والاخلاص للمعرفة ، يرى بيقين ان من أهم ما تميز به الاستنباط فى الشريعة الاسلامية تلك الضوابط التي ضمنت سلامة الاتجاه فى أخذ الاحكام من النصوص .

وان كنا لا نزعم — والحمد لله — العصمة لأحد بعد الانبياء . على ان الأئمة الذين يرى المتتبع لآثارهم ما يرى من الاستقصاء والدقة ، كانوا على أعز جانب وأغلاه ، من خشية الله تعالى فيما يأخذون ، وفيما يدعون ، وان مما يتنافى مع أوليات الانصاف والتجرد فى البحث العلمي ان يحكم على أمثال هؤلاء الرجال بمفاهيم قد يقوم كثير منها على الانحراف والتزوير ، ولكن لا غرابة فهذا التجريح جزء من رسالة كثير من المستشرقين .

والآن صحيح ان قواعدنا فى الاستنباط — وهي مما تفردت به امتنا — قد اثبتت، وسوف تثبت وجودها من جديد فى ميدان الفقه والقانون ، ولكن لا بد من اليقظة الواعية التي نشم معها رائحة ما فى النفس من حاجات وندرك عن طريقها ولو جزءا من تلك المخططات الرهيبة التي ترصد لها كل الطاقات المادية والمعنوية ، والتي يراد من ورائها تشكيك هذه الامة بشريعتها ولغتها .

ولن يكون ذلك الا من طريق المعرفة الصحيحة التي تهدينا الى التقويم الصحيح لثروتنا التشريعية الاصيلة الخالدة ، ثم الوعي لكل ما يدور حولنا ، لا يغرنا البريق المزيف ، ولا تفتننا المظاهر الخادعة ان علينا ان ندرك ذاتنا وان نقيم حياتنا الفكرية على أساس من الايمان والمعرفة والثقة بما لدينا من ثروة تشريعية لم تعرف الانسانية لها مثلا .

وللحديث صلة .

بقية المقال عن هدى القرآن الكريم

الحدود وجندت كل قوى المسلمين لانصافها ، وتأديب المعتدين عليها ، وتأكيد هيبة المسلمين فى النفوس .

كتاب من الله ، وتاريخ صنعه الأجداد العظام ، كلاهما يبعثان فى النفوس الحماس والحمية واليقظة لبناء أمة عظيمة يحرسها أبناؤها بقلوبهم وأرواحهم

ولكن الى متى نظل بعيدين عن هدى كتابنا ، وحمى تاريخنا ؟ وكل منا يدعي الغيرة على الاسلام ؟ !

هؤلاء المسلمون الذين تكتشفهم دولهم حينا بعد حين يتجسسون لحساب الأعداء .

هل تجردوا من دينهم ومن عاطفتهم نحو أمتهم ؟

هؤلاء الذين ينامون مستريحين منعمين .. وفى العالم حولهم مسلمون مستعبدون ومشردون يصيحون ويستنجدون .

هؤلاء الذين ينقطعون بأحاسيسهم عن أحاسيس المسلمين ومصالحهم ، ولا يهمهم الا أنفسهم ومصالحهم الخاصة ..

هؤلاء الذين ينشئون علاقات مودة وحسن تفاهم ، مع الذين شردوا المسلمين ، وطردوهم من ديارهم ومع الذين ساعدوا على أخراجهم ، ويسيمون اخوانهم سوء العذاب فى مستعمراتهم .

الى هؤلاء جميعا والى كل مسلم أسوق الهدى من كتاب الله ..

((يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء)) ((ومن يتولهم منكم فانه منهم))

بقية قصة اليهودية

وفي البروتوكول الرابع عشر (متى أصبحنا أسياد العالم فلن ندع في الوجود سوى ديانتنا ، لأننا نحن شعب الله المختار ، ولأن مصيرنا قرر مصير العالم) .

هذه هي الحقيقة الصارخة .. الحقيقة التي ينبغي أن يدركها الجميع ..

ليدركها النصارى حين يودون توقيع وثيقة التقارب بينهم وبين اليهود بتناسي الأحقاد والخلافات وتبرئتهم من دم المسيح * ...

ولتدركها الدول الكبرى حين تتقدم بمساعداتها العسكرية والفنية والمادية لاسرائيل ...

وأخيرا ليدركها العرب فى كل مكان حين يتركون الأفعى تنفث السموم فى كل قطر من أقطارنا العربية والاسلامية عن طريق عملائها وأجرائها ، دون أن يوجهوا الضربة القاتلة الى الرأس فيحطموه .. والى الدمل فيفقأوه .. والى السرطان فيستأصلوه ..

(وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله) .

---

* ومجلة « الوعي الاسلامي » تحب أن تنبه الى أن بتبرئة اليهود من دم المسيح لا يقرون طبعا انه قرار التبرئة لما جاء فى الأناجيل من انهم قتلوه من اليهود بقصد تبرئتهم .. مما يجعل قرار المسلمين حين يغضبون لمشروع القرار القاضي قتل ، ولكنهم ينظرون الى مغزى الوثيقة ومخالفة وصلبوه بعد ما قامت حملة اعلامية وغير اعلامية التبرئة استجابة لما يريد اليهود وسيرا فى تيارهم .

خواطر من هنا وهناك

الى هواة التقليد

جاء فى اذاعة الكويت فى يوم الجمعة ٩٦٥/٤/٣٠ صباحا

فى الملايو يعملون على اصدار قوانين لمنع استيراد ادوات التجميل والذهاب الى الحلاق ، وذلك من أجل المحافظة على الجمال الطبيعي للمرأة . وحداً من انطلاقها وراء تقليد للغرب دون وعي وتفكير .

وشيء آخر لا أريد أن أتحدث أنا عنه ولكنني أترك المجال للفتـــاة المثالية المصرية « منى صلاح ذو الفقار » التي عاشت فى الوسط الامريكي مائة يوم بدعوة من صحيفة « نيويورك هيرالد تريبيون » عادت لتقول عن البنات والمجتمع فى امريكا .

« جيل انفلت . هذا اذا نظرت اليهم من زاوية تقاليدنا الشرقية ، أما اذا أردت أن أحكم عليهم بتعبير آخر فهم « جيل ضاع » فالبنات فى امريكا عندهن كل الحرية لفعل أي شيء ولخوض أي تجربة . ومن سن الثانية عشرة تبدأ الفتيات تجاربهن مع الشباب فى قصص حب قد تذهب الى أقصى المدى ، وهم يعتقدون أن مدرسة التجربة أقوى المدارس . ولكني أرى أنها مدرسة بلا معلم بلا مرشد . فالاب والام مشغولان بعملهما وليس عندهما الوقت لارشاد ابنتهما ، ولأن البنت تعودت الاستقلال فانها تنفر من تدخل الام اذا حاولت أن تتدخل .وهذا هو الخطر . لا رقيب ولا حساب والبنات يدخن ويسهرن : ويعربدن وان كانت هناك أسر محافظة لكنها قليلة .

والنتيجة !

نتيجة الحريات ، ونتيجة الحياة المادية التي تحياها الاسرة أن امريكا اصبحت تعيش بلا حنان فالبنت تعرف أن أمرها لا يعني أمها ولا أباها ، والام تعرف ان ابنتها فى بحث دائم عن قصة حب أو عن عريس ، والاب فى عمله والام كذلك ، ولقاءات الاسرة قصيرة والاسرة مفككة ، ولهـــذا تفتقد لمسة الحنان فى البيت الامريكي . والحياة العائلية محدودة ، فالاسرة هناك هي الاب والام والاولاد . وقلمـــا يتحدث هؤلاء عن أقاربهم . ونادرا ما يتزاور الاقارب على خلاف ما عندنا .

كل شيء بالثمن عند الفتى الامريكي . اذا دعا فتاته الى سينما فهذا بثمن واذا دعاها للعشاء فهذا بمقابل . واذا اكتشف انها فتاة مهذبة قال عنها انها باردة ، وباردة عندهم معناها « ذات فضائل وخلق » .

فما رأي دعاة أو هواة التقليد .

هذا الذى قالته الفتاة ، قرأنا وسمعنا مثله كثيرا عن المجتمع الغربي ، ومع ذلك نجد من يتعلق به ويدير ظهره لمجتمعنا الشرقي الاسلامي ، ويعيب تقاليدنا ويقول عنها رجعية ، ويدعونا للتحرر من واجبات الدين ، والانطلاق وراء هوى النفس بحجة اننا فى عصر الفضاء ..

هل الدين حال بينهم وبين أن يكونوا رواد الفضاء ؟

أم أنها الثرثرة من اناس ليس لهم الا لسان ..

حرية أم فوضى ؟!

مجلة وقعت فى يدنا أخيرا ، وهي تصدر فى لبنان لحساب القوميين العرب ، وفى هيئة تحريرها وكتابها بعض الاسماء الاسلامية مع الاسف !!

هذه المجلة تستهين بشعور المسلمين — مسؤولين وغير مسؤولين — وتتهجم على الاسلام ورسوله ورجاله وهيآته بأقـذع الالفاظ التى يتورع عنها الســوقة ، ولم تبق على ناحية يعتز بها المسلمون الا تناولتهـــا بالسخرية والتجريح .. بأسلوب ركيك ورخيص ..

لو أن ما كتبه الكاتب المتحلل يتناول قضية ويناقشها مناقشة موضوعية لكان بالامكان الرد عليه . ولكنه يشتم ويسب ويجرح ويهذى هذيان السكارى ، ومثل هذا لا يناقش وانما له أسلوب آخر يرد به عليه وعلى المجلة التي سودت صفحاتها بسخائمه وشتائمه ..

ومما لا شك فيه أن المجلة تعمل حسب مخططها المرسوم لها وتخدم الاغراض التي وجدت من أجلها .. ولكن ألا يوجد فى لبنان من يغار لدينه ؟ اننا نؤمن بحرية الصحافة الهادفة . اما الحرية المتحللة فلا . **فكيف تطلق لها الحرية حتى تصل الى هذا الحـــد من الاساءة الى شعور الملايين من المسلمين فى لبنان وخارج لبنان ؟**

وكيف تدعي المجلة والقائمون عليها والمحركون لها أنها تنطق باسم العرب وتخدم العرب وهي فى الوقت نفسه تهاجم الاسلام الذى يدين به العرب ويفتدونه بأرواحهم .

لو أن هذه المجلة أو غيرها تعرضت بالسب والتجريح لبعض الرؤساء لتحركت القوانين والقوامون عليها لردعها ومحاكمتها .. أما أن تتعرض للاسلام ومقدساته بمثل هذا الاسلوب فأمر لا يمس القانون ولا يعني القائمين عليه !!!

فهل الامر هكذا أيها المسلمون المسئولون وغير المسئولين فى لبنان

رجل مات

وافتنا الانباء الواردة من الهند مؤخرا بوفاة داعية كبير من الدعاة المسلمين فى أوائل ابريل الماضى .. هو مولانا محمد يوسف أمير جماعة التبليغ ، التي بلغت آثارها وجهودها كل انحاء العالم ..

عرفته حين كنت بالهند ودعيت الى اجتماع اسلامي كبير عقدته الجماعة فى مدينة بهوبال ولمست مدى اخلاصه وما يتمتع به من صفات الداعية المؤثر الذى يطبع تأثيره على قلوب الملايين . كان اذا تحدث مكث ساعات يفيض على السامعين من حلو حديثه حتى تمر الساعات وكأنها لحظات. **تولى قيادة الجماعة بعد أبيه مولانا الياس الذى أسس الجماعة ورعاها حتى نمت .. وهذه الجماعة لا تعتمد على تنظيم جماعى ، ولا حزبى ، ولكنها تعتمد على روح الاخلاص فى الدعوة ، وجذب المسلمين الى برامجها التى تقوم اولا على أصلاح المرء لنفسه ، ثم انطلاقه بعد ذلك مع بعض اخوانه ، ليسيحوا فى الارض ويدعوا الى الله بعملهم وعلمهم على حسابهم الخاص .**

فى هذا الاجتماع الذى حضرته فى « بهوبال » والذى ضم خمسة عشر الفا من انحاء الهند . جلست على المنصة معه ، ومع الاخ مولانا أبى الحسن الندوى ، وبعض كبار العلماء ، نودع الجماعات المنطلقة الى العالم ، تدعو الى دينها ، وكان منها العالم ، والطبيب ، والمهندس ، والموظف ، والعامل ، والزارع ، وكل منهم أخذ اجازة من عمله ، ليعمل شهرا أو شهورا من أجل الدعوة الدينية .. كان منهم الذاهب الى اوروبا وامريكا وشرق افريقيا ، وشرق آسيا ، غير الذاهبين الى الهند وباكستان والبلاد الاخرى ..

وتساقطت من عيني دموع الفرح بهذه الروح القوية التي تسود هذه الجماعة ، وتدفعها للعمـــل والتضحية من أجل دينها وعقيدتها ..

لقد فقدت الجماعة حقا قائدها ، ولكني أعتقد أنها سوف لا تهتز ، بعد أن أصبحت فكرة الجماعة تعيش فى قلوب الملايين . رحمه الله . واجزل له الثواب .

((الخارج على الجماعة))

عن أبى هريرة (رضى الله عنه) عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال : ـ

(من خرج على الطاعة وفارق الجمـــاعة مات ميتة جاهلية ، ومن قاتل تحت راية عُمّيّه يغضب لعصبة أو يناصر عصبة ، فقتل فقتلة جاهلية . ومن خرج على أمتى يضرب برّها وفاجرها ، ولا يتحاشى من مؤمنها ، ولا يفي بعهـــد ذى عهدها ، فليس مني ولست منه) .

العروبة بين الجاهلية والإسلام

للاستاذ
البهي الخولي

« هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ، ويزكيهم ، ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين » سورة الجمعة (٢) .

— ١ —

فى هذه الآية الكريمة ثلاث حقائق واضحة .

(الاولى) تبين ما كان عليه العرب قبل الاسلام ، وما صاروا اليه بعده ...

(الثانية) توضح أن تاريخ الرسول عليه السلام هو نقطة التحول فى تاريخ العرب ، وفيما كان لهم من حياة نفسية وعقلية .

(الثالثة) تنص على أن سر التحول هو فى تلك الرسالة التي بعث الله بها محمدا صلى الله عليه وسلم .

— ٢ —

وكثير من الناس لا يكلف نفسه اطالة النظر فى معنى تلك الأمية التي كان عليها العرب قبل الاسلام ، اكتفاء لما يبدو للنظرة الاولى أنها أمية القلم ، أو أمية القراءة والكتابة فحسب .. ولكن الامر أوسع من ذلك ، فالقراءة وسيلة لتحصيل الافكار المكنونة ، ليستنير بها القلب ، وينتفع بها الذهن ... والأمية جهل برموز الكتابة وكيفية استخلاص ما فيها من المعاني ، وهي بذلك حجاب دون انتفاع الانسان بما هو مكتوب من خير ورشد .

ومن الناس من يقرأ دون أن ينشرح صدره ، أو تنهض همته بما قرأ من معاني الخير والفضيلة ، فهناك حجاب منع روح هذه الحقائق أن ينفذ الى

السريرة ، فظل محروما من خيرها وبرها . ومثل هذا الذى لم تنفعه قراءته وكتابته يستوى فى النتيجة هو والامي الذى لا يقرأ ، ولا يكتب ، ويجوز اطلاق وصف الأمية عليه ، مادامت القراءة والكتابة لم تؤدله حقيقة الفرض منها ؛ اذ لا خير فى قراءة وكتابة يظل القلب من ورائها فى ظلام أميته كما أنه لا ضير من أمية يكون القلب من ورائها حيا مستنيرا بالوان العبر والحكمة التي يحصلها من كل ما يسمع ، أو يرى على صور الحوادث وصفحات الكائنات ، فالمعول عليه فى الحقيقة هو أمية القلوب لا أمية الجهل بمصطلحات الرموز والحروف .

وقد يتامل انسان فى زهرة ... أو فى طائر ... أو فى كوكب ، فينكشف لقلبه من معاني الآيات ما تشف به النفس ويرق له الفؤاد ... وقد يقرأ انسان آخر من كتب الحكمة ما لا نظير له ، فلا ينفذ منها شعاع واحد لانارة ظلام قلبه

« واذا قرات القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا، وجعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه ، وفي آذانهم وقرا ، واذا ذكرت ربك فى القرآن وحده ، ولّوْا على ادبارهم نفورا » .

فالامية — على هذا أميتان : —

أمية سطحية ، وهي امية الجهل بالقراءة والكتابة ... وامية نفسية باطنة ، هي أمية القلب الذى يحجبه الهوى وسلطان المادة عن حقيقة المثل العليا ، وما فى الكون من عبر وحكمة وخير أصيل ... ، وهي أمية تصدق على كثير ممن نسميهم علماء ... وقد لا تصدق على كثير ممن نسميهم أميين أو جهلاء ..... وقد يستطيع ذلك الذي يجهل القراءة والكتابة أن يقرأ على صفحات الكائنات بنور قلبه من حقائق العلم وسر المعرفة ما يبهر به ذوى الاجازات الدراسية العليا ، والالقاب العلمية الضخمة وهي القراءة التى كشف سرها لبصيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فقد يكون — اذا — من الأميين علماء ، وقد يكون من العلماء أميون ... وقد نعى الله على أحبار بني اسرائيل أنهم يَعلَمون الخير ، ويُعلّمونه الناس دون أن يَعملَوا به ، فقال سبحانه :

« أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وانتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون؟ »

وسماهم سبحانه — من أجل ذلك — فى آية أخرى — أميين اذ قال :

« ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب الا أماني وان هم الا يظنون ، فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم ثم يقولون هذا من عند الله ... »

قال الامام ابن عباس — رضي الله عنهما — فى معنى هذا : « الأميون قوم لم يصدقوا نبيا — ارسله الله ، ولا كتابا انزله الله ، فكتبوا كتابا بايديهم ، وقالوا هذا من عند الله — الى ان قال رضى الله عنه « ثم سماهم أميين لجحودهم كتب الله ورسله » (١) وذلك من ومضات القرآن بخفايا الحقائق واسرار النفوس لمحتها بصيرة الامام الحبر الذى علمه الله التأويل ، ولم يلتفت اليها سواه .

— ٣ —

وامية العرب قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت أمية قلم ، وأمية قلب معا ... اذ كانت أمية القلم فاشية حيث لم يكن منهم من يخط بيمينه الكتاب الا القليل ... أما أمية القلب فحسبنا منها ما نعرف من عقائدهم

---

(١) تفسير ابن كثير

وعاداتهم وتقاليدهم فى السلم والحرب ، وقد أجمله الحق سبحانه بقوله :

((وان كانوا من قبـل لفي ضـلال مبين)) ...

وهي الامية التـي صقلها وازالها ، رسول الله صلى الله عليه وسلم بما تلا عليهم من كتاب ، وبما زكاهم به من علم وحكمة ... فلما صاروا الى ما صاروا اليه من هدى ومعرفة ، رفع الله عنهم وصف تلك الامية وابدلهم بها وصـف الايمان فقال سبحانه :

((لقد من الله على المؤمنـين اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ، وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين)) .

فمتن هذه الآية ، ومتن الآية التـي صدرنا بها هذا المقال واحد ، غير انهما يختلفان فى الصدر ، فصدر الاولى يقول ((هو الذى بعث فى الأميين رسولا ...)) .

وصدر الآية الثانية يقول ((لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا ...)) ونريد ان نسال ماذا كان العرب فى الناس قبل محمد صلى الله عليه وسلم ، وماذا كانوا بعده ؟ ....

لا يستطيع أحد ان يزعم انهم كانوا فى العالم شيئـا مـذكورا بالحضـارة والعـلم والمنعـة والسيادة ...

لقد كان ينقصهم نور القلب والذهن معا ــ ونور القلب انبعاث الى فضيلة ، وهمة الى مجد وسعي الى مثل عليا ... ونور الذهن معرفة وعلم ، ومصباح يهدى سواء السبيل ... فكان ينقصهم بذلك كل أسباب الحضارة ، ومقومات الدولة الراشدة القوية ...

ولا نريد بهذا أن نسلبهم ما كان لهم من خصائص نفسية طيبة ، واستعداد حسن لمعالي الامور ، ويكفي أن تلـك الخصائـص الكريمـة بلغت من صفـاء معدنها وسلامة فطرتها مارشحهـا لان تكون أصلح مهاد يتلقى نور الله فى الارض، وأشرف نفوس تحمل هدى اللـه الـى الناس ، ولكنا نقول ان ذلك كله كـان مخبوءا، أو كامنا تحت ركام الجاهلية ، فلم يكن يبدو مـن وميضه الا لمحـات تتمثل فى سير بعض عظمائهم وأبطالهم دون أن يبلغ ذلك حد الشيوع الـذى تقوم به حضارة متألقة ودولة ذات بأس وغنـاء ...

فاذا قلنا ان أحدا لا يستطيع أن يزعم أن العرب كانوا فى العالم قبل البعثـة شيئا مذكورا بالعلم والحضارة والمنعـة والسيادة ، فانما نعني واقـع التاريخ ، دون أن نعني المساس بما هـو مقـرر لسلامـة الفطـرة ونفاسـة الجوهـر الثمين ...

ولا شك ان العرب صاروا بعد محمد صلى الله عليه وسلم أساتذة العالم هداة راشدين وعلمـاء راسخـين ، وحكمـاء ملهمـين عـلى خـلاف ما كانت عليـه جاهليتهم . وكذلك كان شأنهم السياسى بين الامم ، فكانوا فى مكة مثلا ــ وهـي أم القرى ــ قانعين بنصيب المتفرج على ما يدور من حروب بين فارس فى الشرق والروم فى الغرب دون أن يكترث لهـم أحد من أهل الشرق أو الغـرب ... كانوا قانعين بهذا الدور التافه ، يقولون : غلبت الروم ، اذا كانت فارس هي الغالبة ... أو غلبت فارس اذا كانت الروم هي الغالبة ، دون ان يكون لهم أثر ، أو رأى

فى توجيه ما يحدث حولهم من أحداث ، وكانت دولهم الراقية قد فقدت استقلالها وعزتها ، فخضعت دولة المناذرة فى الشرق لنفوذ كسرى ، وخضعت دولة الغساسنة فى الغرب لنفوذ قيصر ..

كان هذا شانهم قبل محمد صلى الله عليه وسلم ، فلم يلبثوا من بعده أن ورثوا ملك كسرى وقيصر ، وجمعوا فى ايديهم زمام المشرق والمغرب ، وصاروا القوة الوحيدة التي توجه التاريخ ، وترسم للعالم مستقبله ومصيره . هذا ـ كان ـ شأن العرب قبل محمد صلى الله عليه وسلم وبعده ... وما كان له عليه السلام من أثر فى ذلك الا أنه بلغ عن ربه فاحسن البلاغ ... وما كان للعرب من فضل الا أنهم تقبلوا الكرامة من مولاهم ، فاحسنوا بها الى أنفسهم ، ورعوها فى الناس حق رعايتها .. والفضل كله لله سبحانه ، اليه يرجع الامر من قبل ومن بعد :

((ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من احد ابدا)) .

ـ ٤ ـ

هذه حقيقة تاريخية ، لا سبيل لاحد الى جحودها ، ولا فضل لأحد فى بيانها وتقريرها ، فهي صوت الواقع ، وسجل التاريخ ... ونريد أن نسال الآن ما مكاننا اليوم من هذا كله ؟ أو ما مكاننا من الرسالة التي آمنو بها ورعوها حق رعايتها ، وما مكانها من حياتنا ؟ .. مكاننا من هذا كله يبينه اليوم مكاننا فى الارض من شعوب العالم ، فما لنا فيهم من قوة ، وما لنا فيهم من امر أو نهي ، ... مكاننا من هذا كله أننا المأرب الذى تطمع أبصار الاقوياء فى الشرق والغرب الى اقتسامه واغتنامه ... مكاننا اليوم من هذا كله تبينه أمية كثيفة ورثناها من عهود ضلال ، وانحلال ، وفرقة ، تنتسب الى الاسلام بالاسم والى الوثنية بكل خصائص الجهل والهوى ، حتى تداعت علينا الامم تداعي الاكلة النهمين الى قصعتهم الحافلة....

وقد يطول البكاء على ما ورثناه من تبدد الهمم ، والاستغراق فى الأثرة ، وعبادة المنفعة ، والولع بلذة الجوارح ، وشهوة الحس ، وسذاجة الفهم ، وعزلة الفكر ، أو تخلفه عن مقومات العصر الذى يحيا فيه ، والاستسلام لعبث التنافس على ما هو وهم فى بصيرة العقلاء ... ولكن البكاء لا مجال له ـ طال ام قصر ـ فنحن فى طور بعث ويقظة نريد أن نأخذ مكاننا الجدير بنا فى موكب الانسانية المتطور الزاحف الى أسباب القوة والحياة .. فماذا يغنينا فى ذلك ؟

فينا من ينادى اليوم بالبعث العربي ، واحياء القومية العربية ، فأى شيء هذه القومية ، وعلى أى شيء يكون هذا البعث ؟ احياء لشيء هامد ، ونشور لكيان ميت ، فاذا كان قصارانا من عند البعث ان نضع الفاظا براقة ، وندبج عبارات الثناء ، والغناء لما كان لنا من مجد او امجاد ، فهو جهد من يضعون لافتات الترحم على أجداث الموتى ، واذا كان قصارى بعض مثقفينا من الحزبيين ـ فى البلاد التي أبقت على الحزبية ـ أن يلفق لنفسه منهاجا ياخذ له مزقة من

البقية على صفحة ٧٨

حول انتشار الاسلام

كيف يعلل المبشرون

الاسلام شهادة بأن الله حق ، وشهود لآثار الوهيته فى صحائف الكون ، وصوغ للحياة النفسية والاجتماعية وفق ما أوحى الله لرسله ، واعداد أجيال البشر الحاضرة والمستقبلة للسير على هذا الصراط ، ما نبض فى ابدانهم عرق ، وخالج أفئدتهم شعور .

والاسلام من قبل ذلك علاقة عامة بين الكائنات كلها وبين بارئها الأكبر جل جلاله ، فالعلم من عرشه الى فرشه فقير أبدا الى ربه ، قائم به ، خاضع له عان لأمره ، وتلك حقيقة علمية لا يمارى فيها الا أحمق .

ومن ثم فان التمرد على الله شذوذ مستغرب ، والازورار عن دينه خطأ مبين، « أفغير دين الله يبغون ، وله أسلم من فى السموات والأرض طوعا وكرها ، واليه يُرجعون(١) ؟ » .

ان الاسلام لله هو الصلة الطبيعية الفذة بين المخلوق والخالق .

واذا كان البشر فى هذا العصر يتواضعون على حقائق هندسية وكيماوية وفلكية مقررة ، ففي صدر هذه الحقائق يجب أن يعرف أن الله واحد ، وأن السيرة التي يرتضيها من عباده دلالة على انقيادهم له ، وتحقيقا لما يحبه لهم من خير ، هي سيرة محمد بن عبد الله ، فهو الانسان الكامل الذى التقت فى شخصه المثل الرفيعة للانسانية كلها .

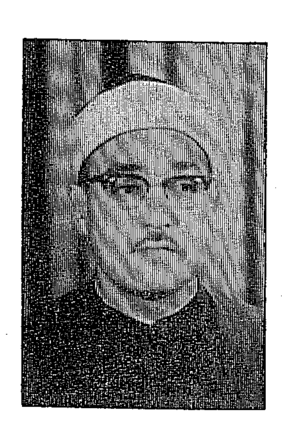
ان الشهادة بأن الله واحد بيان لحق الخالق على المخلوق .

والشهادة بأن محمدا رسول الله بيان للطريق التي يسير فيها المخلوق كي يرضي الخالق ، وهاتان الشهادتان هما الدعامة الأولى للاسلام .

وقد فهم المسلمون من نصوص دينهم، أن صاحب الرسالة الخاتمة جاء متمما لما مهد اخوانه الرسل والأنبياء السابقون

---

١ — سورة آل عمران الآية ٨٣



لفضيلة الشيخ محمد الغزالي
مراقب عام الدعوة بوزارة الاوقاف

والمستشرقون سر انتصار الإسلام

وأن هؤلاء كانوا دعاة للاسلام بمعناه الشامل العميق .

وانّ مَرّ الزمان وتفريط الأتباع طمسا معالم الرسالات السابقة ، وأتاحا للغلو والابتداع والتحريف أن تعدو على طبيعة الدين ووجهته .

فلم يكن بد من رسالة عامة ثابتة تعيد الحق الى نصابه ، وترد الكلم الى مواضعه ، وتجلو كل ما غشي وجه الفطرة من خرافة وهوى ، وتضمن الا يتكرر فى المستقبل ما حدث فى الماضي من زيغ وشذوذ .

فكان هذا القرآن الذى غلب الزمن ، وبقي محفوظا من كل ريبة . وكان رسوله الذى نشر الحق الى أبعد مدى يبلغه جهد بشر ، والذى صدع أركان الباطل ، فمادت بعد لأى « تالله لقد أرسلنا الى أمم من قبلك ، فزين لهم الشيطان أعمالهم فهو وليهم اليوم ، ولهم عذاب اليم . وما أنزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم الذى اختلفوا فيه ، وهدى ورحمة لقوم يؤمنون(١) » .

منهج الصحابة فى نشر الدعوة

وانطلق صحابة محمد وأتباعه فىأقطار الأرض يحملون البلاغ السماوى الأخير . وانطلق الصوام القوام الخاشعون المخبتون الى كل فج عميق ، يعرضون الاسلام على الناس ، باللغة العالمية التي يفهمها أهل الأرض كلهم جميعا ، لغة الخلق الزكيّ ، والسلوك العالي . نعم ان الجيل الذى حمل الاسلام ، وعبر به الأبعاد الشاسعة أرى الناس من نفسه نماذج رائقة ، فدخل الناس فى دين الله عن أعجاب ورغبة .

وما كادوا يتعمقون فى هذا الدين ، ويتعرفون دخائله ، حتى صاروا حراصا على دعوته العامة مثل العرب الذين جاءوا به ، أو أشد !! . .

---

١ ـ ٦٣ ، ٦٤ من سورة النحل

وقد وقع قتال فى أثناء سعى العرب لتحرير الشعوب السجينة ، وفك الاغلال عنها . وهل كان يمكن قمع الاستعمار القديم ، أو الحديث الا بالسلاح .

ان أنبل قتال وقع على ظهر الأرض ، هو ما خاضه أتباع محمد لرد «الرومان» الى أوروبا من حيث جاءوا ، ولكسر شوكة المجوسية فى فارس .

والا فكيف يتصور امرؤ راشد أن أربعة آلاف عربي مثلا يصلحون قوة غازية لفتح مصر وتوطيد الاسلام فيها جيلا بعد جيل ؟

انه لولا انبهار الأمم بالدين الجديد ، وتجاوبها معه ، واحساسها بأنه هدية الأقدار اليها ، ما دانت لأهله ، ولا دخلت فيه .

ماذا عسى يصنع أربعة آلاف رجل فى قطر كمصر ، أمام عشرات الألوف من جند الرومان ومشايعيهم ؟ .

وهب أنهم جن فى الوغى ، وان خصومهم هباء ، ما الذى جعل جماهير الشعب تسالم الوافدين ، ثم تنشرح صدرا بعقائدهم ، ثم تهب هي لنصرتها بعد ما اعتنقتها ؟ .

انها طبيعةالحق عندما يحسن عرضه، وتنزاح العوائق أمام الرغبة فيه .

وما مصر الا مثل لشقيقاتها التي كانت عانية فى أسر الرومان ، ثم شاعت أنوار الصدق فى هذا الدين ، فهوت اليه قلوبها ، ثم حملت لواءه الى يوم الناس هذا عن اعتزاز وحب .

لا اكراه فى الدين

وعمر الباطل يطول بين الناس بمقدار ما تطول غيبة الحق عنهم ، ولعل لهم عذرا فى البقاء عليه ما داموا لا يعرفون غيره .

وقد كان الناس على نحلهم الأولى قبل الاسلام بين راض بها عن قصور ، أو راض بها عن اقتناع . فلما ظهر الدين الجديد وتيسرت المقارنة والمقابلة ، بدأ التحول العظيم ، يشمل سواد الشعوب هنا وهناك ، فما مضى قرن على البعثة حتى كان الاسلام ملء السمع والبصر ، وكانت أجهزة الدولة الاسلامية ترقب هذا التحول من بعيد وهي دهشة ، بل ان بعض الولاة استبقى ضريبة الجزية على من يدخل فى الاسلام !! كأن وظيفة الحاكم تعويق الناس عن الايمان لا اغراؤهم باعتناقه .

وما نذكر هذه القصة الا لنشير الى كذب من يزعمون أن شائبة اكراه وقعت فى انتشار الاسلام .

أن الدولة لم تستخدم قط ، أداة قسر على ترك دين واعتناق آخر كما وقع ويقع فى أقطار أخرى لخدمة أديان اخرى .

وما حاجة الاسلام الى الاكراه ، ومبادئه تنساب الى القلوب من تلقاء نفسها لأنها الفطرة ؟ وتعاليمه تنساق الى العقول كما تنساق البديهيات التي يلقاها الفكر السليم ، ولا يستطيع أمامها مراء .

ان البيئة الحرة أخصب مكان لازدهار الاسلام ، ولولا شقوة الناس ، ما نصبوا العوائق أمام رسالته ولتركوها تبين عن طبيعتها فى هدوء ..

مستشرق يزيف الحقائق

ومنذ أيام وقع فى يدى كتاب من هذه

الكتب التي يؤلفها المبشرون والمستشرقون ويملأونها بالطعون في الاسلام ، والضغن على نبيه ، ولما كنت قد ألفت تهجم القوم ، فاني لم أفزع لما ورد في الكتاب من تهم ، أعرف ويعرف غيري قيمتها .

لكن الكتاب الذي قرأته تضمن عبارات في التعليق على انتشار الاسلام أرى من المصلحة اثباتها لأنها ترد نجاح الاسلام ، وارتفاع شأنه الى خلل طارىء على القوى المعارضة لا الى صلاحيته الذاتية ، وأصوله النفسية والفكرية .

قال المؤلف المذكور —

اذا أنعمنا النظر فيما كتبه مؤرخو الكنيسة منذ القرن الثالث للميلاد الفينا حال الأمة النصرانية لذلك العهد بعيدة جدا عما وصفها به بعض المصنفين من تقوى وصلاح .

وذلك أنها فضلا عن كونها لم تكن مؤيدة بالعقيدة الفعالة والغيرة والتقوى ، ولم تكن راسخة على أساس التعليم الصحيح ، وعلى الاتحاد وثبات الايمان — كان رعاتها مشتغلين بالمطامع الشخصية يتخذون العويص من مسائل الدين ذريعة للمشاجرات والماحكات . وقد انقسموا فيها الى فرق وبدع لا تعد ، ونفوا من صدورهم ما ندب اليه الانجيل من الموادعة والمحبة والمؤاساة ، وعدلوا الى المناوآت والضغائن وسائر المفاسد ، حتى انهم بينما كانوا يتماحكون في أوهامهم في الدين أضاعوا جوهر الدين نفسه ، وكادت مشاجراتهم فيه تستأصله .

ومعظم ما ننكره الآن على بعض فرق النصرانية من باطل العقائد ، انما نشأ وتأصل في تلك الأعصر المظلمة ، فعاد بالنفع على الاسلام ، وأعان على انتشاره .

ونخص من تلك العقائد بالذكر عبادة القديسين والصور ، فانها قد بلغت وقتئذ مبلغا يفوق كل ما نراه اليوم عند بعض فرق النصارى(1) .

اما الكنيسة الشرقية — فانها أصبحت بعد انفضاض المجمع النيقاوى مرتبكة بمناقشات لا تكاد تنقضي ، وانتقض حبلها بمماحكات الأريوسيين والنساطرة واليعاقبة وغيرهم من أهل البدع .

الصراع على منصب الأسقفية

أما الكنيسة الغربية : — فقد كان فيها من تهالك داماسوس واورسكينوس في المشاجرة على منصب الأسقفية — أي أسقفية روما — وما أفضى الى احتدام نار الفتنة وسفك الدماء بين حزبيهما ، حتى ان الوالي لما رأى أنه لا قبل له بقمع هذا الشر انصرف عن المدينة وترك المتنازعين وشأنهما ، وكان الفوز بعد ذلك لداماسوس .

قيل استمر القتل في الناس في هذه النازلة حتى بلغ عدد القتلى في كنيسة سيكينيوس وحدها مائة وسبعة وثلاثين في يوم واحد .

ولم يكن من العجيب أن يشتد حرصهما على تبوء ذلك المنصب المهم لأن من يتبوأه يصبح ذا دنيا عريضة ، وينال من صلات السيدات الرومانيات ثروة وافرة فيخرج في المواكب والأبهة بالمركبات والمحفات — مسرفا في ترف العيش أكثر من اسراف الملوك خلافا لما

1 — لا تزال التماثيل تملأ الكنائس في الشرق والغرب الى يومنا هذا ، وهي تماثيل ترمق برهبة وحب ، وتقبل اقدامها التماسا للبركة .

كان عليه أساقفة المدن الصغيرة من الاقتصاد والزهد ولو بعض الشيء .

ثم قال « فلما فشا فى أولياء الأمور وارباب الدين هذا الفساد فى العقائد والأخلاق والسيرة نشأ عنه بالطبع فساد سيرة العامة من الناس فأصبحوا على اختلاف طبقاتهم وليس لأحدهم هم سوى جمع الأموال من الوجوه المحللة والمحرمة ثم اتلافها فى سرف العيش وانتهاك حرمات الله(١) » .

«هذا ما كان عليه حال النصرانية فى غير بلاد العرب » .

فى بلاد العرب

« أما حالها فى بلاد هذه الأمة التي هي موضوع بحثنا ـ يقصد بلاد العرب ـ فلم تكن خيرا من ذلك . فقد اشتهرت هذه البلاد منذ القديم بكثرة البدع ، ولعل ذلك ناشيء عن حرية القبائل واستقلالها » .

« فكان فى نصارى العرب قوم يعتقدون ان النفس تموت فى الجسد ثم تنشر معه فى اليوم الآخر ، وقيل ان (اريجانوس) هو الذى دس فيهم هذا المذهب . »

« وكم وكم من بدعة انتشرت فىجزيرة العرب ولا نقول نشأت فيها .

فمن ذلك بدعة كان أصحابها يقولون. بألوهية العذراء (مريم) ويعبدونها كأنما هي الله(١) .

وفضلا عن ذلك فقد اختلط بالعرب ايضا فى جزيرة العرب عدد وافر من الفرق المختلفة لجأوا اليها هربا من اضطهاد القياصرة . فأدخل محمد كثيرا من عقائدهم فى دينه كما سنرى(٢) .

أما اليهود الذين كانوا فى سائر البلاد أذلاء لا يعتد بهم ، فقد قويت شوكتهم فى بلاد العرب حيث لجأ كثير منهم اليها على أثر خراب بيت المقدس ، وهو دوا كثيرا من ملوك العرب وقبائلهم .

ولذا كان (محمد) فى بادىء امره يداريهم حتى انه اخذ عنهم كثيرا من مقالاتهم ورسومهم وعاداتهم تألفا لهم لعلهم يشايعونه ، لكنهم جريا على سننهم المألوفة فى العناد لم ينقادوا له بل ناصبوه العداوة ، وكانوا من اشد خصومه ، يحاربونه ويكايدونه دائما ، ولم يتأت له قهرهم الا بعد المشقة والعناء وتعريض نفسه لمهالك أودت بهم آخر الامر (٣) .

---

١ ـ هذه حال جماهير الناس فى أوربا اليوم . ان المذاهب المادية تسيطر على اخلاقهم وأحوالهم ، وفنون الاباحة تجعلهم عبيد شهواتهم . والسر فىذلك عدم وجود « الايمان الصحيح » الذى يملأ فراغهم النفسي والفكرى . وهذا المؤلف وأمثالهيطعنون مع ذلك فى الاسلام بدل ان يخلوا له الطريق ليحل المشكلة .

يا بادى القوس بريا ليس يحسنه   لا تظلم القوس أعط القوس باريها

٢ ـ هذه البدعة التي يرى المؤلف انها انتشرت بينالعرب قديما ، ليست فى الحق من مخترعات القدماء وحدهم بل ان العصر الحاضر شهد مجمعامسكونيا فى روما جعل مريم فوق البشر !! .

٣ ـ هذا هراء يشيع بين جمهرة المبشرين والمستشرقينوالبراهين متكاثرة متضافرة على تفاهته .

٤ ـ الاسلام يحسن الى اهل الكتاب جميعا ما دامتمسالكهم معتدلة فاذا أبوا الا اهانته او اساءته فلا بد من ان يدفع عن نفسه « ولا تجادلوا أهلالكتاب الا بالتي هي احسن الا الدين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذى أنزل الينا وأنزل اليكم والهناوالهكم واحد ونحن له مسلمون » .

وما ذكرناه من شدة بغضهم له ولّد فى قلبه آخر الأمر بغضا شديدا لهم فصار يعاملهم فى باقي عمره بأقبح مما كان يعامل به النصارى ويكثر الطعن فيهم فى قرآنه .

وقد تابعه المسلمون على ذلك الى يومنا هذا فهم يفرقون بين اليهود والنصارى ، ويعدون اليهود أحقر أمة على وجه الأرض وأذلها .

المسلمون بين الفرس والروم

وقد قال بعض من اشتهر بسداد الرأى فى السياسة : انه لا يتسنى لأحد أن يسود قوما وينشيء دولة ما لم تساعده الفرص . فاذا علمت هذا جزمت بأن اختلال احوال النصرانية كان من الفرص التي أعانت محمدا من الجهة الواحدة على نيل مآربه ــ كما أن وهن قوى الروم والفرس أطمعه من الجهة الأخرى فى الظفر بمراده فيما يقدم عليه من هاتين المملكتين اللتين كانتا قبل ذلك من القوة على ما هو معلوم ، ولو كانتا باقيتين على بأسهما لكانتا ولا شك حطمتا الاسلام وهو فى مهده ، وهم ينسبون فوزهم ذلك الى دينهم الجديد، والعون الالهي الذى وصل اليهم بسببه.

مسكين هذا المؤلف !! انه يحاول حجب الشمس بكفه ، كيف يتصور عاقل أن العرب من غير الاسلام كانوا يستطيعون هزم الروم والفرس مهما ضربت الحرب بينهما واشتد الخلاف ؟ لنفرض ان بين الروس والامريكان نزاعا ، فهل معنى ذلك ان تستطيع المكسيك مثلا الاستيلاء على الدولتين الكبيرتين ؟ .. ان الاسلام خلق العرب خلقا جديدا ، وبه وحده وقعت معجزة الفتح .

مشكلات التثليث

ان الرجل ينسب انتشار الاسلام على حساب الرومان خاصة الى ما ساد بينهم من اختلاف مذهبي وشهوات بدنية ونفسية . ويرى ان هذا الاختلاف لفظي لا حقيقي ، وأن تلك الشهوات موقوتة لا دائمة .

ونحن نصدقه فى نصف ما قاله ، ونخالفه فى النصف الآخر ، او نصدقه فيما قاله ونخالفه فى العلل التي ذكرها .

ان التثليث مولد ذاتى للخلاف على تراخى العصور .

ومشكلاته حقيقية لا شكلية .. وذلك بخلاف التوحيد المطلق الذى قرره الاسلام . ثم ان الانسانية بعد نموها الفكرى الظاهر ، الذى لم يعهد مثله فى تاريخها الأول تحتاج فى اقناعها العقلي وتربيتها النفسية ، وتنظيمها الاجتماعي والسياسي الى دين يكافيء هذا الامتداد فى مواهبها وخصائصها .

دين يشبع تعاونها الروحي ، وتألقها الذهني ..

انها بحاجة الى الدين الذى تعاون النبيون جميعا على ابلاغ أصوله وتوطيد أركانه ، ثم جاء صاحب الرسالة الخاتمة، فأعطاه صورته النهائية الحقيقية المشبعة.

واذا لم تعترف أوربا بهذا الدين ، فستبقى آخر الدهر فريسة المذاهب المادية شرقية كانت أم غربية . وستبقى صريعة الشهوات التي تغتال الطهر فى الانفس ، والعدل بين الامم ...

والله الامر من قبل ومن بعد .

قرارات المؤتمر الإسلامي بمكة

ذكرنا فى العدد الماضي أن الكويت قد اختارت الوفد الذى يمثلها فى المؤتمر الاسلامي الذى انعقد فى مكة بعد انتهاء فريضة الحج برياسة سعادة عبد الله المشارى الروضان وزير الأوقاف ، ونشرنا أيضا كلمة الوزير فى العدد الماضي وكانت تدور حول واجبنا نحو الدعوة الاسلامية ، وقد عاد الوفد بعد انتهاء المؤتمر الى الكويت بعد ان اتخذ المؤتمر قرارات نذكر منها :

أ ـ ما يختص بلجنة الدعوة الاسلامية وأهم قراراتها :

١ ـ تأسيس معهد مركزي للدعوة والارشاد بمكة أو المدينة مهمته تكوين الدعاة .

٢ ـ تأسيس مجمع اسلامي يضم مجموعة من العلماء المسلمين لدفع الشبهات التي تثار ضد الاسلام وبيان حلول الاسلام للمشكلات المعاصرة .

٣ ـ تأليف واختيار الكتب التربوية النافعة وبشتى اللغات لتعميمها على المدارس الاسلامية فى العالم والاتصال بالدول الاسلامية للاتفاق على وضع مناهج تربوية صالحة .

٤ ـ تشجيع الصحف والمجلات والكتب الاسلامية التي تخدم الفكرة الاسلامية .

٥ ـ الاهتمام بأجهزة الاعلام وتقوية البرامج الدينية فيها ووضع المناهج الموحدة للدعوة الاسلامية .

٦ ـ اعتبار لغة القرآن الكريم لغة عالمية لجميع الشعوب الاسلامية مع وجوب تعليمها لأنه لا يمكن فهم دين الاسلام فهما صحيحا الا بها .

٧ ـ توحيد خطة الدول الاسلامية والعربية فى مقاومة النفوذ الصهيوني والمؤامرات التبشيرية والشيوعية والقاديانية والبهائية والماسونية واي حركة هدامة .

٨ ـ تنظيم دعاية قوية بافريقيا ، مضادة للدعايات التى يقوم بها الاستعمار وارساليات التبشير ومراكز الصهيونية لتشويه سمعة الاسلام والمسلمين .

٩ ـ ارسال المدرسين والوعاظ من الدول الاسلامية لافريقيا وغيرها من الاماكن المحتاجة للدعوة وتخصيص منح دراسية للطلاب المسلمين من جميع البلاد وكذلك تشجيع المهندسين والاطباء المسلمين على العمل فى افريقيا وحث الحكومات الاسلامية على تقديم الهبات والقروض وتأسيس المستشفيات والمدارس الاسلامية فيها .

١٠ ـ ضرورة اقامة الصلوات فى المدارس وتعويد الطلاب عليها وتخصيص اماكن للصلاة فى جميع المدارس ولجميع المراحل الدراسية . واتخاذ موقف حازم فى ذلك وعدم الاختلاط بين البنين والبنات فى مراحل التعليم الابتدائي والثانوى والجامعي .

ب ـ أما اللجنة الثقافية فقد اتخذت القرارات الاتية :ـ

١ ـ اقامة نظام ثقافي موحد الاساس والروح يشترك فيه جميع المسلمين ليحررهم من غزو الانظمة الثقافية والفكرية لمبادىء الاسلام وعقائده ويكون مستمدا من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

٢ ـ تقرير تدريس حاضر العالم الاسلامي وجغرافيته فى الجامعات والمعاهد فى البلاد الاسلامية ، والعناية الخاصة بتدريس تاريخ الاسلام والحضارة الاسلامية ، والعمل على احياء التراث الاسلامي وتأليف لجنة من علماء التاريخ المسلمين لوضع تاريخ اسلامي مبرأ من الانحرافات والتشويهات الموجودة فى كثير من الكتب المترجمة والمؤلفة .

٣ ـ اعداد البيت المسلم وتهذيب الفتاة المسلمة وتعليمها تعليما اسلاميا صحيحا وتحرير التعليم النسوى من تقليد الانظمة التعليمية الأجنبية واقامة نظام تعليمي نسوى خاص منفصل فى جميع مراحله وتركيز جهود المدرسين فى المدارس والآباء

في البيوت والوعاظ في المساجد للوصول الى التزام المرأة لباس الحشمة الذى يرتضيه الاسلام .

٤ ـ اقتصار الدراسة في الخارج على الدراسة فوق الجامعية على أن يختار الطلاب من ذوى السلوك الحسن والعقيدة الراسخة واقامة بيوت للطلبة ليعيشوا في جو اسلامي صحيح وخاصة في المدن التي يكثر فيها تجمع الطلاب المسلمين كباريس وميونخ ولندن .

ج ـ وفيما يختص بلجنة التضامن الاسلامي اتخذ المؤتمر القرارات التالية :

١ ـ تبنى مشروع الدعوة الى مؤتمر قمة اسلامي واتخاذ الخطوات والاجراءات اللازمة لذلك .

٢ ـ تكوين لجنة من كبار العلماء وأهل الرأى مهمتها المبادرة دائما الى حسم الخلافات وحقن الدماء بين المسلمين .

٣ ـ تصنيف دليل مطبوع للعالم الاسلامي ينشر بعدة لغات ويشتمل على الماما عامة مركزة عن احوال المسلمين في مختلف الاقطار وعن المنظمات الاسلامية العاملة وضروب نشاطها وعناوين مراسلتها واسماء القائمين عليها .

٤ ـ انشاء جهاز عامل متفرغ يقوم عليه عدد من الاكفاء من مختلف الاقطار تكون مهمته الاستفادة الى ابعد مدى ممكن من منافع الحج كل عام وتهيئة فرص اللقاء والتعارف والتعاون العلمى بين مختلف اهل الاختصاص ممن يؤمون البيت من علماء ومهندسين واطباء ورجال قانون واقتصاد واجتماع وغيرهم .

وزارة الاوقاف تحتفل بعيد الهجرة

احتفلت وزارة الأوقاف بعيد رأس السنة الهجرية ليلة الأحد أول المحرم ١٣٨٥ هـ الموافق ٢ مايو ١٩٦٥ ، وذلك في مسجد السوق الكبير . وقد أمَّ الحفل عدد غفير من الوزراء وأفراد الشعب حتى ضاق بهم المسجد على سعته .. وبعد افتتاح الحفل بتلاوة آيات من القرآن الكريم ، ألقى سعادة وزير الأوقاف كلمة أشار فيها الى عبرة الهجرة وهنأ المسلمين جميعا بالعام الجديد راجيا لهم فيه كل تقدم وتوفيق ..

ثم تتابع الخطباء والشعراء ، فتحدثوا عن التضحيات الكبرى التي أحاطت بالهجرة ودعوا المسلمين الى التأسي بالرسول وصحابته في قوة الايمان والتضحية واختتم الحفل بآيات من القرآن الكريم ..

وقد نقلت الاذاعة والتلفزيون هذا الحفل الكريم ...

ومما جاء في كلمة معالي الوزير

أذا كان لكل أمة من الأمم أعياد وذكريات تحتفل بها وتتذكرها وبطولات وأمجاد تخلدها وتنشرها ، فان الهجرة النبوية تنشر أمام الأجيال أروع ما حفظ التاريخ من أنباء الجهاد في سبيل الحق والعقيدة والايمان .

وجدير بنا ونحن نحتفل بذكرى الهجرة النبوية ونستعرض أسبابها وآثارها أن نستلهم منها العظة والعبرة ، فقد مضت سنة الله في الأمم أن يعزها وينصرها ما اعتزت بايمانها واستمسكت بحقها ، وحرصت على حريتها ، وبذلت في سبيله أموالها ودماءها .

واني أنتهز هذه المناسبة الكريمة فأهنىء المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها بحلول العام الجديد ، وأسأل الله أن يجمع شمل العرب والمسلمين ، وأن يعلي كلمة الحق والدين ، وأن يؤيد بعونه وتوفيقه سمو أمير البلاد حفظه الله .

الشرق ومزقة من الغرب ، ومزقة من حيث لا ندرى فهو على أنه جهل بأذواقنا، وطبيعة بلادنا ، وأصول تراثنا ، جهل بطبيعة البعث ومعنى الاحياء ، فان الاحياء ليس فى خطة سياسية او اقتصادية ، انما هو استمداد روحي ينشيء خصائص المثل فى النفس الهامدة، ويبعث نوازع الهمم فى الطبع الراكد الآسن ... ثم يأتي بعد ذلك دور المناهج والخطط .

نعم فلسنا بحاجة الى منهاج ينظم لنا سيرنا ، بل بحاجة قبل ذلك الى رسالة تعيد لنا ايماننا بعقائدنا ، وترسم لنا أهدافا راقية كريمة ،وغايات روحية عليا ، وتضع لنا مناهج الأخذ بها والتنشئة عليها ، وتقيم لنا من قادتنا هداة عاملين لها ، مبشرين بها ، ممثلين لمبادئها فى كل ما يقولون من قول ، وينهجون من سيرة .

نعم نحن بحاجة الى رسالة تزيل عنا امية الهوى ... والرياء والنفعية التي قطعت الاواصر، وأضلت الاذهان ، وقبلت الهوان ، وخنقت كل خصوصية كريمة فى النفوس ... هذا أولا ، وليكن بعد ذلك من شأن السياسة والاقتصاد ما يكون فمردها كما اعتقد الى ما آمن به الناس من هذه الرسالة .

ما قيمة القومية العربية اذا هي تجردت من حوافز الحياة ونوازع الروح، وقوة الايمان بالمثل العليا ؟ ...

انها بدون ذلك تغدو أمشاجا من اللحم والدم ، وطائفةمن سلاسل النسب لا تغنينا فى قليل ولا كثير ، اذا هي نمتنا الى أبائنا الاولين من عدنان وقحطان ... وهي لفظ بدون معنى اذا أنت لم تجعله عنوانا لما كان للعرب فى التاريخ من أمجاد لا تساميها أمجاد ... وهي معنى تافه اذا أنت لم تلحظ فيه حقيقة الخصائص النبيلة التى رشحتها لان تحمل بامر الله الى الانسانية أكرم رسالة فى هذه الأرض ...

فيا شباب العرب ان الزمان قد استدار فى سياسته كهيئته حين بعث محمد صلى الله عليه وسلم :

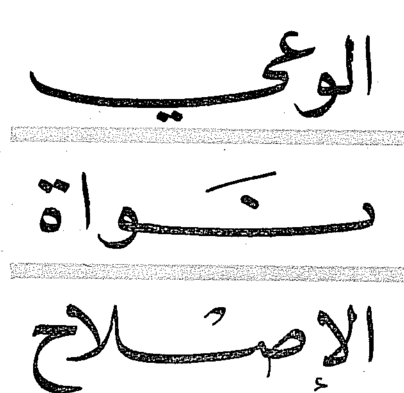
كتلتان تتنازعان العالم : شرقية وغربية ... ونحن نتفرج ونتساءل ــ كما تساءل أسلافنا من قبل : ألشرقَ أم الغرب ؟ لا .. لا شرق اليوم ، ولا غرب ، ولكن عروبة واسلام كما اختار القدير العزيز لاسلافنا من قبل .

يا شباب العرب انكم تدعون الى مختلف الدعوات فمن دعاكم الى ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم فقد دعاكم الى مجد العروبة الصادق وذكرها الذى ليس فوقه ذكر والله سبحانه يقول : ــ

((لقد أنزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم أفلا تعقلون ؟)) ..

أما اذا لم يؤمن الداعي بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم فهو اما جاهل بحقيقة مجد العرب ، او عدو فى ثياب صديق ، يحاول صرفنا عن أسباب عزتنا ومجدنا ... وأن لكم والحمد الله ــ من الألمعية وصدق النظر ما تعرفون به حقيقة الدعاة وما يدعون اليه ... والله يتولانا واياكم وهو نعم المولى ونعم النصير .

* * *



للسيد الاستاذ جواد شبر

من اعذب الكلمات على السمع والروح كلمة ((الاصلاح)) انها خفيفة على المشاعر ، لطيفة فى الأحاسيس يترشفها السامع ، ويتمنى تحقيقها ، ويتغنى بها المجتمع ، ويهوى تطبيقها ، لكن تختلف الآراء فى الطريق المؤدية اليها والوصول الى اهدافها . فالبعض يرى طريقها التهذيب والتعليم ، والقضاء على الأمية ، وآخر يرى ذلك منحصرا فى تسليم القيادة الى موجه حكيم ، وهو الذي يقود الأمة الى ساحل السلامة والنجاة .

أما عقيدتي فهي أن أقرب الطرق الى الاصلاح هو ايجاد الوعي العام فى الأمة ، واليقظة فى الشعب ، والعمل على ان يشعر الكل بواجب المسؤولية ، ولا يتحقق ذلك الا عن طريق الكتابة والخطابة ، وتعاون الفرد والجماعة فـ (كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته) .

وقال صلى الله عليه وسلم « الدين النصيحة . قلنا لمن ؟ ، قال : لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين ولعامتهم ، والذي نفسي بيده لا يؤمن عبد حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » . وكان من أساسيات الاسلام السهر على تهذيب النفوس ، وتثقيف العقول ، وتلك هي الغاية من ارسال الرسل (وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين) .

أهداف العبادات

ان الطاعات البدنية ، والعبادات الاسلامية على فضلها وعلو منزلتها ، في نظر الشارع وسائط لا غايات ، انما يراد بها تكميل الأخلاق ، وتربية النفوس ، انظر الى قوله تعالى (وأقم الصلاة ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر) وقوله صلى الله عليه وسلم « من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله الا بعدا !! »

فنبه الأمة الى أن الصلاة ليست

ركوعا وسجودا فقط ، دون أن يكون هناك أثر على النفس ، كما أن الصيام ليس عطشا وجوعا ، (رب صائم ليس له من صيامه الا الجوع والعطش) لأن الصوم فى فلسفته تربية للملكات ، وسيطرة على النفس ، وضبطها عن الاسترسال فى الشهوات ، وكفها عن الانغماس فى المشتهيات .

فالعبادة انما تقع موقعها من رضا الله تعالى اذا أدت الى تزكية النفس ، وتطهير الأخلاق،وحسن القيام بالواجبات مما يؤدى الى عظمة الأمة ، وثبات أمرها، ونفوذ سلطانها ، وفى هذا يقول بعض علمائنا المتقدمين ، أدركنا السلف وهم لا يرون العبادة فى الصوم، ولا فى الصلاة، ولكن فى الكف عن اعراض الناس .

وقد نبه الشارع الأعظم فى غير حديث الى تفضيل الأخلاق على العبادات بنسبة ما لها من الأثر البين ، والنفع الظاهر فى مصالح البشر ، وسعادة حالهم .. من ذلك قوله صلى الله عليه وآله وسلم « تفكر ساعة خير من عبادة ستين سنة ، عدل ساعة خير من عبادة ستين سنة ، اصلاح ذات البين أفضل من عامة الصلاة والصيام » .

وكما أن الشارع فضل مكارم الأخلاق على مجرد عبادة الجوارح ، كذلك فضل دراسة اسرار التشريع الاسلامي على مجرد العبادة ففي الأثر : عالم ينتفع بعلمه خير من الف عابد . هذه الأحاديث الشريفة ناطقة بأن مكارم الأخلاق ، وتكميل النفس بالعلم الصحيح،وممارسة الواجبات الشخصية والاجتماعية عبادة، بل قد تكون أحيانا خيرا من العبادة ، على حسب ما لها من حسن الأثر فى نفع الأمة وتوفير الخير لها .

وما من آية فى القرآن ذكر الله فيها (الذين آمنوا) الا أضاف اليهم (وعملوا الصالحات) اشارة منه سبحانه وتعالى الى أن الايمان يجب أن يكون مقرونا بالعمل الصالح ، فهو مظهره وثمرته . وأن الايمان بالله والعمل الصالح يترتب عليهما مرضاة الله ، ومكافاته فى الدار الآخرة . والأمثلة على ذلك ما جاء فى القرآن فى مواضع متعددة كقوله تعالى .

« ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية » (١) .

« وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات » (٢) .

« ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات انا لا نضيع أجر من أحسن عملا » (٣) .

ولهذا كان الايمان حائلا بين المرء واقتراف المعاصي ، لأن الانسان فيما يفعل ، وفيما يصدر عنه خاضع لسلطان عقيدته ، يقول صلى الله عليه وسلم « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن » لأن الايمان الكامل يأبى على المؤمن أن يفعل ما ينافيه ، أو يترك ما يقتضيه .

أثر الايمان فى التربية

والايمان بالله ينير لنا ظلمات هذه الحياة ، ففي ساعة العسر يتذكر المؤمن أن هناك ملاذا يلوذ به ، فليس هناك ما يدعوه الى اليأس والجزع ، فتطمئن

١ ـ سورة البينة (٧) . ٢ ـ سورة البقرة ـ ٢٥ ٣ ـ سورة الكهف ـ ٣٠ .

نفسه ، وتصغر أمامها الأهوال ، وتهون المصائب (وان الله لهاد الذين آمنوا الى صراط مستقيم) (الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور) وان الايمان المصحوب بالعمل الصالح وسيلة الى تحصيل السعادتين ، ومثوبة الدارين (من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون) (١) .

قل لي بربك — علام يتهالك هذا البشر ، ويتزاحم ، ويتنازع ؟ .

اليس كل ذلك من أجل لذة عاجلة او آجلة . والآية تضمن لعامل الخير هاتين اللذتين .

قال الامام علي بن الحسين زين العابدين : افعل الخير الى كل من طلبه منك ، فان يكن أهله فقد أصبت موضعه، وان لم يكن اهله كنت أنت أهله .

وقال رجل بحضرة الامام : المعروف الى الكرام يعقب خيرا ، والى اللئام يعقب شرا ، فقال عليه السلام . كمن كمثل المطر يصيب الأرض الطيبة والسبخة .

اننا نشاهد البعض من بني الانسان وهو يسمو بروحه ونفسه حتى يفضل على الملائكة ، وآخر يهبط وينحط حتى عن صف البهائم (اولئك كالانعام بل هم أضل سبيلا) .

من الناس من يولد وينشأ ، ويعيش ويموت ، من غير أن يشعر به أحد ، فهو يشبه الزرع الذى ينمو عفوا فى الربيع ، لأنه لم يفد المجتمع فائدة تذكر .

ومن الناس من يشبه النبات السام الذى يبتعد عنه كل حي، لكيلا يصاب منه بضرر ، واذا دنا منه أحد فهو لكي يستأصل جذوره ، واذا زال واضمحل فرح بزواله كل من يريد الخير لنفسه وغيره ، وهذا النبات صورة أولئك الناس الذين لم يوجدوا على الأرض الا ليضروا الخلق ، فاذا ماتوا فرح الجميع بموتهم ، واستراحوا منهم ، لأنهم تخلصوا من شرهم وخطرهم .

وهناك اناس يشبهون الدوح الذى لا ثمر فيه ، بل هو يفيد الأحياء بظله الوارف ، وظله يزول بزواله ، وهو يشبه أولئك الرجال أصحاب النفوذ والثروة والجاه والسطوة ، فاذا قضوا نحبهم زال معهم اسمهم ، لأنهم لم يخلدوا آثارا تذكر .

واما الرجال الأعلام الذين يضاهون الشجر الطيب الثمر الذى يؤتي أكله ، فيتمتع به الناس ، ويرتاحون لمنظره ولطعمه (ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء ، تؤتي أكلها كل حين باذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار) (٢) .

رجاء

للأساتذة الكتاب أن يرسلوا بحوثهم الينا مكتوبة على الآلة الكاتبة ما أمكن تيسيرا للعمل وتفاديا للخطأ .

وشكرا ،،،

١ — سورة النحل — ٩٧ ٢ — سورة ابراهيم — ٢٦٧ .

صيحة الاسلام فى وجه الصهيونية والصليبية الآثمة

للشاعر الاستاذ « محمد التهامى »
المستشار بالجامعة العربية

إن قال داعِي الحقِّ من يتقدمُ ... فأنا الحقيقة كلُّها ، أنا مُسْلم
ومُعَلِّمي فى العالمين محمد ... صلى عليه الأنبياءُ وسلموا
وتخيَّروه لهم إماماً صادقاً ... لما اصطفاه لنا الإلهُ الأعظمُ
وجدت شرائعُهُم يُكمِّل بعضُها ... بعضاً وتدرُجُ للكمال وتَعْظُمُ
حتى تبلَّجَ فجرُها فاذا به ... خيرُ الأنامِ بدينِهِ يتقدم
فَطَوَوْا رسالاتٍ لهم وتراحَموا ... خلفَ النبي وبايعوه وأسْلموا
شهدوا وهم رُسلُ الأنام بديننا ... وبأنه نَهْجُ الحياةِ الأقومُ
نرضاهم رسلا تألق هدْيُهُمْ ... ويتمه طه الحبيبُ ويختمُ
ونحبهم حب الجدود بَنَوْا لنا ... لنتم رهن مشيئة تتحكم
فالبدر في كَبِدِ السماء تَزُفُّه ... وتَرُوح تسبقُه هناكَ الأنجُمُ
إنا عبادَ الله ملء قلوبنا ... طه وموسى والمسيحُ ومريمُ
وجميع أصحابِ الكتاب طلائعٌ ... منا على النَّهْج القويم تَقَدَّموا
لانحمل الضِّغْن الشقيَّ لبَعضهم ... أبدا ولا نبغى ولا نتَهَجَّم
بالكلْمة البيضاءِ كلٌّ دُعَائِنَا ... والله يهدى من يشاء ويُلْهِمُ
هذا دعاءُ المسلمين وإنه ... من كل أدواء التعصب بلسم
وبلادُنا دار الجميع فكُلُّهم ... متقلب في خيرها يتنعم
كم دق ناقوسٌ وصاح مؤذن ... ومَعَ السلام صداهُمَا يترنَّمُ

هذا سلام القادرين بـــدارهـــم دارُ العـــروبة حُرَّةٌ لا ترغـــم

نحمى الحقوقَ نصونُها ونردُّها لِذوى الحقوق وحقُّنا لا يُهْضَمُ

لانظلمُ الناسَ الحقوق تـــرفعـــا لكننا لا نُسْتَضَامُ ونُظْلَـــمُ

من شاءها حرباً فنحن جنودهـــا حتى يثوبَ المعتـــدون ويندمُوا

وإذا السلام الحرّ لاح وميضـــه فلَدَى هُدَى القرآنِ ماهُوَأَسْلَمُ

***

واذا جُرِحْنَا في المعارك مَــرَّة فالأُسْدُ في وهج المعامع تُكْلَمُ

هذى فلسطينُ الأبيةُ ما انحنـــت يوما وإن غطى شوامِخَهَا الدَّمُ

إنا لنعلنها إليهـــم مُـــــرّة فالحق لا يخفـــى ولا يُتَكَتَّـــم

لولا ذئابُ الغرب خَلْف عدوِّنا ما اسطـــاع أن يسعى إلينا المُجْرِم

أشلاؤنا اللائى تركنا خلفنـــــا قَتْلَـــى واسرائيلُ تفزعُ منهمُ

***

إنا نريـــد الحقَّ لا نرضـــى بـــه مَنًّا ولا نشكو ولا نَتَظَلَّـــــمُ

لانَعْرِض الجرحَ العميقَ عليهم إنا لنَعْرف أنهم لن يَرْحَمُوا

لكننا نُزْجِـــى إليهـــم عِبْرَةً من صانعى التاريخ تنْبِئ عَنْهُمُ

هـــذا صلاحُ الدينِ تحت ترابِه أسدٌ عـــلى أرض المعامع يَجْثُم

القيادة الادارية فى سيرة الرسول

« من العلوم التى بدأت تأخذ مكانها فى الدراسة الآن باهتمام علم الادارة أو الشؤون الادارية ويبد لكثير من الناس أنه جديد . وقد يكون جديدا ف تسميته .. والكاتب الفاضل يحاول بما له من دراية بالادارة والاسلام أن يقدم للقراء عرضا جديدا يربط بين ما يعرفه المحدثون من هذا العلم ومصطلحاته وبين الاسلام ونهج حكامه فى ادارة شؤون الرعية ومعاملتهم وبدأ هذه المحاولة بهذا البحث » .

الوعي الاسلامي

للمقدم حسن فتح الباب
أركان حرب معهد الدراسات العليا
لضباط الشرطة بالقاهـرة

تزايد الاهتمام فى عالم اليوم بأبحاث الادارة العامة ودراساتها المتشعبة حـتى أصبحت علما قائما بذاته ، لا غنى عن الالمام به لكل من يعنى بشؤون الجماعة ، ويعمل على اصلاحهـا .

ويمكن تعريف علم الادارة العامة بأنه دراسة نشاط العاملين بالأجهزة التنفيذية للدولة فى سبيل تحقيق أهداف عامة مرسومة يعبر عنها بالسياسة العامة .

فالادارة العامة ـ بوصفها عملا جماعيا ـ تقوم على دعامتين متكاملتين لا قـوام لاحداهما بدون الأخرى : تتمثل الاولى فى الافراد المكلفين بخدمة الجهاز التنفيذى ، وتتمثل الثانية فى العمل الذى يضطلع به هؤلاء الافراد . ومن ثم فان نجاح الادارة العامة يرجع الى حسن اختيار القائمين عليها ، وتدريبهم لرفع كفايتهم الانتاجية ، ثم وضع كل منهم فى المكان اللائق به ، حتى يستطيع القيام بأعباء الوظيفة التي تؤهله لها كفاءته ، والى تنسيق المهام المنوطة بهم ، وتعاونهم على الاضطلاع بها ، وفقا لأعلى مستوى من الأداء .

ومعنى التعاون هنا هو خلق حركة ونشاط منظم لم يكن ليتأتى اذا قام به فرد واحد أو أفراد متفرقون يعملون بلا نظام ولا خطة محكمة .

والقائد الادارى الناجح : هـو الذى يستطيع أن يدفع العاملين معه الى العمل فى الاتجاه الصحيح ، بحيث يخلق منهم وحدة ادارية منظمة ، تقوم على التعاون الايجابي الـذى يؤدى الـى استمـرار النجـاح ، والوصـول الـى الأهـداف المنشودة . فهو لا يقيم سلطتـه عـلى الارهاب والعقاب أو التهديد به ، وانما يعتمد على قدرته فى استنباط الأصول النظرية وتطبيق القواعد العملية التـي ترفع الروح المعنوية بين معاونيه ، وتزيد شعورهم ، بالمسئولية ، وتقديرهم لهـا حتى يقبلوا بأنفسهم مختارين على تنفيذ ما يعهد لهـم به ، بدافـع من ايمانهـم بالواجب ، فلا تشل حركة الادارة فـي غيبته ، بـل يستمر الجهـاز فى عملـه مواصلا سيره فى طريقه المرسوم .

واذا رجعنا الى تاريخ الدولة الاسلامية فى عصورها الاولى تبين لنا بوضوح أن القيادة الادارية الحكيمة كانت من أهـم القواعد التى بنى عليها نظام الحكم ، ومن ثم كانت عاملا رئيسيا فى ازدهار الدولة وسيادة عقيدتها وحضـارتها فى معظـم أرجاء العالم .

وقد ضرب الرسول الكريم لأصحابه – بما أثر عنه من أقوال وأفعال – أعظم المثل لما ينبغي أن يتحلى به القائد الادارى من مناقب وسجايا ، اذ كان يحمل على عاتقه من الأعباء الجسام ما تنوء بهالطاقة البشرية بحكم تلك الأمانة العظمى التي حملها لهداية الناس من الظلمات الى النور .

اهم المبادىء

وقد اقتضته تلك المسئولية الكبرى أن يختط أقوم السبل – بوحي من الله تعالى – للاضطلاع بها . فكان تأصيل التعاون فى نفوس المؤمنين برسالته عدته فى نشر الدعوة ، ثم تثبيت دعائم الدولة الاسلامية الجديدة . فلا غرو أن يكون الحض على التعاون والتآخي من أهم المبادىء التى تضمنها الدستور الاسلامي وصدع بها الرسول . قال تعالى –

((انما المؤمنون اخوة فأصلحوا بين أخويكم(١)))

((وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان (٢))) .

وقال الرسول الكريم :

((المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا)) .

((مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم كمثل الجسد ، اذا اشتكى منه عضو تداعت له سائر الاعضاء بالسهر والحمى)) .

القدوة

ولقد وحد النبي أتباعه ، وساوى بينهم على اختلاف أنسابهم وألوانهم ولهجاتهم ، وتباين مستوياتهم الاجتماعية والاقتصادية ، وبدأ بنفسه فكان أسلوب عمله مطابقا لقراره ، ونزه ذاته عن الترفع والتعالي فى ادارته لشؤون الاسلام دينا ودولة ، مصداقا لقوله تعالى :

((وانك لعلى خلق عظيم (٣))) .

وقوله عليه السلام :

((أدبني ربي فأحسن تأديبي)) .

لم يجنح – عليه السلام – الى العسف فى الحكم أو الصلف فى المعاملة ، وصدق الله العظيم .

((فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك (٤))) .

ومن آيات تواضعه مشاركته للرعية فى شؤونها واسهامه فى حمل أعبائها ، ومن ذلك أنه كان يعمل مع المسلمين يدا بيد فى حفر الخندق . وما أملى قرارا دون أن يمهد له بوسائل الاقناع المناسبة والتوجيه السليم ، فكانت المشورة سبيله ، والقيادة الجماعية أسلوبه في سياسة الدولة . وآية ذلك أنه يأخذ بآراء يبديها بعض صحابته ، حيثما يتوسم فيها الأصالة والسداد .

ومما أثبته التاريخ فى هذا الصدد – كما أورده المرحوم الاستاذ عباس العقاد أن سلمان الفارسي هو الذى أشار على الرسول بحفر الخندق عند المنفذ الذى خيف أن يهجم منه المشركون على المدينة، فأخذ الرسول بمشورته .

ومن المعروف فى أصول القيادة الادارية الحكيمة فى العصر الحديث أن القائد الكفء هو الذى يهيىء الفرص لرجاله كي يستنبطوا القرار الذى يريد ، فيصدر عنهم ولا يملى عليهم ، فمن شأن ذلك أن يؤكد ثقتهم بقدرتهم على الحسم فى الأمور . وبذلك تنشأ صفوف جديدة واعية من القادة تسد ما قد ينشأ عند غيبة الصف الأول

البقية ص : ٩٨

(١) ١٠ : سورة الحجرات . (٢) ٢ : المائدة . (٣) ٤ : سورة القلم . (٤) ١٥٩ : آل عمران



درس فى مسجد

تقدم الشيخ « أبو حازم » ، مطمئن النفس ، مضطرب الخطو ، ساهم البصر ، مختلج العضـلات ، حتى اذا حاذى « اسطوانته » فى جامع الفسطاط ، استوى على كرسيه ، فاقبل عليه طلابه ، بين مسلم ومحتشم ، وآنس بروح الشيخ وهائب .

وأجال الشيخ بصره فيهم يتفرس الوجوه ، فلم يجد بينهم حواريه أبا أمامة ، فكأنما استوحشت نفسه ، وساورته الشكوك ، فان أبا أمامة لم يفارق مجلسه منذ خمس عشرة حجة .

وأطرق الشيخ ، ثم رفع رأسه ، وانطلق صوته عميقا رقيقا مشفقا :

ـ أعندكم خبر عن أبى امامة ؟ .

فأجابه مجيب :

أطال الله عمر الشيخ : لقد تركناه ضحى اليوم ، وقد فرغ من دفن ابنته أمامه . وانه من فراقها لفي أسى يطويه وينشره ، فلعله قد أنساه الكمد ، أو تغشته نعسة من طول ما أصابه من رهق .

فاسترجع الشيخ طويلا ثم قال :

وما جزع المرء مما هو لا بد لاقيه ؟ ! وما نحن الا ركب يتلاقى بعد حين بطاؤه وسراعه فالعجلان والمستريث يجتمعان بعد حين ليس بالطويل ...

ورب راغب فى الموت ، برم بالبقاء ، صادق فى هـذه الرغبة صدق غيره فى حرصه على الحياة ، وتشبثه بالبقاء ، أو ما سمعتم قول شيخ المعرة :

---

* مسجد الفسطاط أول مسجد أسس فى مصر فى المنطقة التى نزل فيها المسلمون عند الفتح وضربوا خيامهم فسميت المنطقة لذلك بالفسطاط وهو معروف الآن بمسجد عمرو بن العاص بمصر القديمة .

« الوعي الاسلامى »

الفسطاط



للاستاذ كامل السيد شاهين
المفتش بالمعاهد الازهرية

دعا لي َ بالبقاء أخو وداد
رويدك انما تدعو عليَّا
وما كان البقاء لي اختيارا
لو ان الأمر مردود اليَّا

والتفت القوم ، فاذا أبو أمامة يتجه اليهم بخطو كأنه العدو ، ثم يقبل على الشيخ كالمرأة الواله ويحتوش يديه المعروقتين فى يديه ، ويكب عليهما بفمه كأنه يريد أن يرشفهما .

ويسكت أبو أمامة ليتكلم دمعه المنسجم ، ونفسه المضطرم ، وقلبه الخفاق .

وينتزع الشيخ يديه فى رفق رفيق ، ويتلو فى خشوع قول الله تعالى :

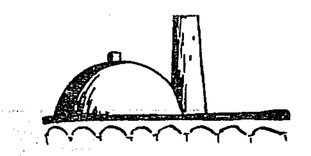
((وبشر الصابرين، الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون . أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة ، وأولئك هم المهتدون)) .

فكأنما صب على قلب أبي أمامة المحرور ، ذَنوبا من ماء برود . وقال : والله لقد كانت أمامة أيها الشيخ واحتى التى أسكن الى ظلالها فى تيهاء هذه الدنيا ، كانت ريحانتى التى تتنفس طيبا تنشق منه نفسى ، ويسكن اليه قلبى ، فاذا كربتنى الحياة ، أقبلت عليها أشمها وأضمها وألثمها ، فتنفرج كربتي ، ويذهب بثي ، فالآن ... ثم وقف الكلام فى حلق الرجل المفئود ، لا يرتقى صعدا ولا ينزل. فلما ذهبت غصته قال متمثلا :

ليت نفسي قدمت
للمنايا بدلك

فتمثل الشيخ :

يموت قوم وراء قوم
ويثبت الواحد العزيز
كم هلكت غادة كعاب
وعمرت أمها العجوز
يجوز أن تبطىء المنايا
والخلد فى العقل لا يجوز



وتتجه الجماعة الى الشيخ ، يسألونه عن حقيقة الموت ، فتنفرج شفتاه عن بسمة رقيقة تنم بالوثوق والتمكن قال :

الموت خلوص الروح من الجسد، فاما الجسد فتعرفونه ، يدا تبطش ، وعينا ترى ، ورجلا تسعى .وأما الروح فقد تحدث عنها القرآن الكريم :

((ويسألونك عن الروح ، قل الروح من أمر ربي ، وما أوتيتم من العلم الا قليلا)) السائل اليهود ، وما كان سؤالهم الا لاحراج الرسول ... وكان جواب الله‌تعالى‌جده — أن الروح أمرلا يوصف، فهي حقيقة تتعاصى على العقل الانساني، والاستعداد البشرى ، فلا سبيل الى معرفتها لقصور الافهام ... فهذا تأويل .

وتأويل آخر : هو أن الروح من أمر الله ، والله يعطي من العلم ما شاء ، ويمنع ما شاء ، فما بالكم تلجون فى أمر الروح هذا اللجاج ، مع ان العلم البشرى علم ضئيل ، فما جهل أمر الروح الا جرى على الاصل فى معرفة الناس لأسرار الكون والحياة ، فهذا هو الجانب الأكثر .

وفى قوله تعالى « أوتيتم » اشارة الى أن العلم ايتاء فهو توفيق وتيسير،وليس أمرا يحصل لكل راغب .

فليس لنا أن نقول : مم تتركب الروح ؟ فسبيلنا الى ذلك سبيل واحد هو ما وردت به صحاح الأحاديث ، **وانما نعرف الروح بآثارها . فبها حركة الجسم واحساسه ، وبها ادراكه ووعيه، وبها علمه وتفكيره ، وبها عزمه وتدبيره ، وبها حبه وبغضه ورضاه وغضبه .**

واذا كان اتصال الروح تترتب عليه هذه الآثار ، فان انفصالها يوجب فقدان هذه الآثار .. وهو ما يعرف بالموت .

فأما الجسد فعناصره عناصر الطين . **(واذا قال ربك‌للملائكة اني خالق‌بشرا من طين ، فاذا سويته ونفخت فيه من روحي ، فقعوا له ساجدين) .**

فالجسم الانسانى : كربون،وفسفور، وحديد ، وجير ، وبوتاس ، وملح ، وسكر ، ومغنيسيوم وكبريت ، والطين — يا بني — كذاك .

والشعراء قد دعوا ذلك ، فقال أبو ماضى :

نسي الطين ساعة انه طين حقير
فصال تيها وعربد
يا أخي لا تمل بوجهك عني
ما أنا فحمة ولا أنت فرقد

وقال آخر يبرر جبنه وفرقه من ركوب البحر :

لا أركب البحر أخشى
علىَّ منه المعاطب
طين أنا وهو ماء
والطين فى الماء ذائب

فابتسم الطلبة فى خبث وظنوا أن الشيخ يبعد بهم عن مزالق الكلام الى ممهوده فابتدره طالب مسنون الوجه حاد الصوت ، كان يجلس فى اقصى الحلقة :

ولكنا نرغب أيها الشيخ أن تحدثنا عما تتميز به روح الانسان عن روح الحيوان وهل هما شىء أَحَدٌ أم هما مختلفان ؟

قال الشيخ : ما رأيت كاليوم امعانا فى التضييق ، فاما اذ كنتم ولا بد سائلين فان روح الانسان لا تكاد تفترق عن روح الحيوان ، الا فى الاستعداد للعلم ((**والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا ، وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة .**))

فذكرت الآية أن منافذ العلم وأسبابه ثلاثة : السمع والبصر والعقل ، وأداة العقل اللسان ، وأثر اللسان اللغة ، فهى تعطيك تصوير التجارب وتختزنها فى قوالبها وتبنيها مقدمات ونتائج ثم تجعل النتائج مقدمات مسلمات تصل منها الى نتائج أخرى أعلى . وهكذا يترقى العلم حالا بعد حال فى الانسان ، ويقف فى الحيوان عند التجارب البسيطة التى لا تتقدم وعلى هذا الأصل يقول اخوان الصفاء ((**ان النفس لا تعرف شيئا الا بتوسيط الجسد**)) .

وكان فى الحلقة شيخ قارح كأن عثنونه حديدة فاس ، يسقط منظاره على أرنبة أنفه ، فتحرك تحرك الثعبان طواه البرد، ونشره الدفء ، ثم قال :

ولكن ابن سينا يرى غير ما يقول الشيخ : فالنفس عنده كانت تعرف كل شيء قبل حلولها فى الجسد وانما معرفتها تذكرها ، فاذا رات شيئا فى عالمنا ، تذكرت ما رأته فى عالمها الأعلى قبل هبوطها الى الارض وأنت تقول أنها تعلم بالتعليم لا بالتذكر ، فالى أىّ القولين نصير . ؟

فما تحرك من هيئة الشيخ شيء ، وقال ذلك أيها الحيوان الناطق رأى لم يبتدعه ابن سيناء وانما تبع فيه أفلاطون، فهي عنده تعرف الحقائق بالتذكر ولا يحجبها عنها الا حجاب الجسد وضلال الحس والشهوة وقد تبين ذلك فى عينية ابن سيناء التي مطلعها :

هبطت اليك من المحل الأرفع
ورقاء ذات تدلل وتمنع
محجوبة عن كل رؤية ناظر
وهي التى سفرت ولم تتبرقع
وصلت على كرهٍ اليك وربما
كرهت فراقك وهي ذات تفجع

...الخ.. ولكن ذلك ليس له موافقة من كتاب الله ، ولا سند من سنة رسول الله صلوات الله عليه . قال أبو أمامة : وما برح فكره يدور حول ابنته التي اعتبطت من ليلة : ولكن ما حكمة الموتَ أيها الشيخ : وماذا ضر لو عاش الناس الى نفخة الصور . ؟

قال الشيخ : الحياة يا أبا أمامة — هم وتكليف ، والموت اقالة من الهم والتكليف (**لا أقسم بهذا البلد وانت حل بهذا البلد ، ووالد وما ولد ، لقد خلقنا الانسان فى كبد**) والكبد أبلغ المشقة ولقد صدق أبو العلاء اذ قال :

لعل الموت خير للبرايا
وان ضاقوأ به وتهيبوه

وأوضح منه ما جاء فى مرثيته الدالية :

تعب كلها الحياة فما
أعجب الا من راغب فى ازدياد

وقد التمس ابن الرومى علة خيالية مليحة لبكاء الطفل عندما يستهل صارخا لدى ولادته، أن ذلك اشفاق مما يستقبله فى الحياة النكدة :

لما تؤذن الدنيا به من صروفها
يكون بكاء الطفل ساعة يولد
والا فما يبكيه منها وانها
لأوسع مما كان فيه وأرغد

قال أبو امامة :

افترى أيها الشيخ انه كلما سارع الموت الى الحي كان من ذلك من سعادة حظه وآية رحمة الله به وأننا ينبغي أن نتمنى الموت الباكر الذى يعتبطنا شبابا على غير مرض ولا هرم .

قال الشيخ :

ان هذا المذهب لبعض المتشائمين .

ومن اليمن للفتى أن يجيء المو
ت يسعى اليه سعيا صريحا
ولم يمارس من السقام طويلا
ومضى لم يكابد التبريحا

غير أننا نهينا عن تمني الموت مهما يبلغ ما نلقى من كبد فى هذه الحياة ، فرسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

((لا يتمنين احدكم الموت لضر اصابه اما محسنا فلعله أن يزداد احسانا واما مسيئا فلعله أن يقلع عن اساءته)) .
أو كما قال .

قال أبو امامة : ولكن المرء قد يبلغ به العجز والمرض حدا يحول بينه وبين القيام بحقوق الله ، فلا يزداد الا اساءة .

قال الشيخ : حاش لله : **((لا يكلف نفسا الا وسعها))** على أن مرض المرء وعلته وهمه وغمه ، كل أولئك تتحات به خطاياه ، كما قال رسولنا صلوات الله عليه :

((ما يصيب المؤمن من نصب ولا وصب ولا هم و لاغم ولا اذى حتى الشوكة يشاكها الا كفر الله بها من خطاياه)) .

فتنفس أبو أمامة ، كانما أزيحت عن صدره صخرة تثقله .

وابتدر الفتى المسنون الوجه ، الحاد الصوت ، يقول للشيخ :

كنت تحدثنا عن حكمة الموت ، ثم انسرب الكلام بنا الى موت الهرم وموت الفتى ، فهل للموت من حكمة اوضح وأتم ؟ .

قال الشيخ :

ان الآية **((لقد خلقنا الانسان فى كبد))** كالجذع ينبثق عنه فروع وعساليج . أو ليس من الرحمة أن الرجل اذا تنفس به العمر وكان ذا مال وسعة ثقل على أهله الذين ينتظرون حينه ، لتنطلق ايديهم فيما تحت يده وهكذا الدنيا .

تملكها الآتي تملك سالب
وفارقها الماضي فراق سليب

فان كان معدما كان على أهله أثقل ، وكانوا به أشد تبرما ، أو ما ترى أن من الرحمة ان ينتهي الملىء والمعدم ، حتى لا يرى الجحود والنكران والشر ممن غمرهم بخيره ، ورصد لهم حياته وشبابه ؟ ثم انك ترى الرجل يكون ملء العين قوة وخفة ونشاطا ، ثم يصيبه الهرم بالضعف فيستند الى العصا فتعينه أجلا ، ثم لا تنفع العصا ، فينوء ولا يكاد ينهض :ـ

على الراحتين مرة وعلى العصا
أنوء ثلاثا بعدهن قيام

والله تعالى يقول :

((الله الذى خلقكم من ضعف ، ثم جعل من بعد ضعف قوة ، ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة)) قال الطالب الحاد الصوت :

فذلك الضعف ، فما باله قد قرن اليه الشيب . ؟

قال الشيخ :

يجمعهما النقصان يا فتى فهذا نقصان فى كمال القوة ، وهذا نقصان من كمال الشكل وان كان الشعراء على عادتهم لا يرغبون عن اللهو وان جللهم الشيب :

لقد جل خطب الشيب ان كان كلما

بدت شيبه يعرى من اللهو مركب

ولقد بادل ابن قيس الرقيات عاذلاته لوما بلوم :

بكر العواذل فى الصباح يلمنني وألومهنه

ويقلن شيب قد علاك وقد كبرت فقلت انه

لا بد من الشيب فدعن ولا تطلن ملامكنه

ولكن الحكم ليس للشائب ، بل الحكم لمن يرضاه صاحبا أو خليلا هذان أمران وأمر ثالث ايها الفتى — فما من امرأة ترى بعلها قد فترت همته ، وقلت نهضته الا فركته، وجعلت تشاره ونهاره وتدعي عليه الذنوب :

قد اصبحت أم الخيار تدعي

على ذنبا كله لم أصنع

ما أن رأت رأسي كرأس الاصلع

امشي كمشي الاهدا المكتنع

بلى ! فان مجرد الانصراف عن المراة جدير بأن يكشف قناعها ، ويهدد حياءها

فقد روى عن محمد بن معن الغفاري قال :

أتت امراة الى عمر بن الخطاب — رضي الله عنه فقالت : يا أمير المؤمنين :

ان زوجي يصوم النهار ويقوم الليل ، وانا أكره أن أشكوه وهو يعمل بطاعة الله عز وجل . فقال لها : نعم الزوج زوجك فجعلت تكرر هذا القول ويكرر عليها الجواب . فقال له كعب الاسدي :

يا أمير المؤمنين ، هذه المراة تشكو زوجها فى مباعدته اياها عن فراشه ، فاذا كان هذا حال المرأة مع الرجل القادر فأى غم يركب الرجل اذا أعجزته الشيخوخه ، أو قصدت به العلة ؟

وقد قال أبو الطيب :

وما صبابة مشتاق على امل

من اللقاء كمشتاق بلا أمل

دع ذا ، وخبرني عن الرجل اذا ألحت به علل البطن ، فاصيب بالكباد ، أو داء المعدة فلم يهنأ بطعام ، ولم يسترح فى شراب ، وأصبح من جوعه فى ألم ، ومن طعامه فى ألم ، فأى حياة تطيب ، وأى عيش يلذ ؟ .

تلك — أيهذا السائل — بعض فروع الكبد وعساليجه ومن ورائها ما لا ينحصر من أمثالها وسبحان من أوجز فأعجز ((**لقد خلقنا الانسان فى كبد**)) .

وانه لمن الطريف أن يعد الموت من النعم التي يتفضل الله بها على العباد ويبكت الانسان بالغفلة عن حقيقة النعمة فيه ، ويرمي بالجحود . ترون ذلك فى قوله سبحانه :

((قتل الانسان ما أكفره ! من أى شيء خلقه ؟ من نطفة خلقه فقدره، ثم السبيل يسره ، ثم أماته فاقبره)) .

فجعل الموت من جلائل النعم التي يوجب جحدها العجب غاية العجب من شدة نكرانه وكفرانه وصدق الله العظيم .

فقام أبو أمامة وقبل من الشيخ يمينه وجبينه ، وانقلب الى بيته والدنيا أهون عليه من الغبار الذي ينفضه عن حذائه أو ردائه ! .

الفتاوي

« يرحب هذا الباب بأسئلة السادة المستفتين ويرد عليها هنا أو فى ردود خاصة اذا احتاج الامر لذلك »

الكوافير والصلاة

تسأل احدى السيدات هل يمكنها ان تصلي دون أن تغسل شعرها خوفا عليه من الماء بعد أن دفعت مبلغا كبيرا عند الكوافير لترتيبه ، علما بأن عملها العام يستدعى ذهابها الى الكوافير كل اسبوع مرة على الاقل ؟

الاجابة

نحب أولا أن نشكر للسائلة بحثها عن مخرج تستطيع به التوفيق بين أداء فرض الله ومقتضيات عملها كما تقول . ولكننا نقول لها ــ الكوافير أو الحلاق ما ضرورته ؟ ان كشف الشعر حرام ، ثم جلوس المرأة أمام الحلاق الرجل ،وقيامه بتصفيف شعرها ، أمر يخالف مخالفة صريحة تعاليم الاسلام ... وذلك فوق ضياع الوقت الطويل .. والمال الكثير .. والقيل والقال مما يتسبب عنه الكثير من الفساد الذى تحدثت عنه المجلات والصحف وحذرت منه .

وبعد ــ فالسيدة السائلة التى تريد أن تصلي نقول لها بالنسبة للوضوء يكفي فى الشعر أن تمسح بضع شعرات من أى جزء من رأسها ، وبالنسبة للغسل من أجل التطهير يجب عليها أن تعمم جسمها جميعه بالماء بحيث يصل الى منابت شعرها ، وهذا باجماع المذاهب الاربعة .

اليمين والكفارة

اذا حنث شخص فى اكثر من يمين فهل يكفر عن كل يمين منها على حدة أو يكفر عنها جميعا بكفارة واحدة ، وأيهما أفضل ، هل يصوم ثلاثة ايام أو يطعم عشرة مساكين ؟ وهل يشترط التتابع فى الايام الثلاثة للكفارة أم لا ؟

الاجابة

المقسم حين يقسم بالله أو بصفة من صفاته العليا أو باسم من اسمائه الحسنى يكون مستحضرا عظمة الله وجلاله ، مستشعرا الوهيته وربوبيته فيضع بهذا اليمين الذى يحلفه سدا منيعا بينه وبين المحلوف عليه فهو لا يقتحمه ولا يتجاوزه خوفا من الله تعالى .

فاذا ما حنث فى يمينه وفعل المحلوف عليه فكأنه اقتحم هذا المانع القوى وغفل عن مراقبة الاله الحق الذى اقسم به ، ولهذا يعتبر الحنث ذنبا وخطيئة تحتاج الى عمل يكفرها ويسترها .

ولهذا شرع الاسلام الكفارة لمن يحنث اذا وقع فى يمينه فهذه الكفارة تطهير للانسان من خطئه وتجديد لأمله فى الله وتقريب له من مولاه، وفيها خير للمجتمع باشاعة البر والتعاطف بين أفراده .

ويوجب الاسلام على الانسان الذى يحنث فى يمينه اطعام عشرة مساكين ، أو كسوتهم بما يستر ابدانهم أو عتق رقبة مملوكة ، فمن لم يقدر على الاطعام أو الكسوة أو العتق فكفارته صيام ثلاثة أيام ويكفي صومها متفرقة والافضل التتابع .. وتتكرر الكفارة بتكرار اليمين والحنث فيه ..

الطبيب والمرأة

أنا مريضة وزوجي يريد أن يأخذني الى طبيب للكشف علي ولكني ارفض ، فهل يجوز ذلك شرعا ؟

الاجابة

من القواعد الاصولية فى الشريعة الاسلامية ان الضرورات تبيح المحظورات .. ومن المعروف أن المرأة لا يجوز أن يظهر منها الا وجهها وكفاها وما دعت الضرورة الى رؤيته والنظر اليه ، قال تعالى (ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها) ذلك أن الاسلام حريص على أن يصون المرأة وأن يحفظ لها حرمتها ، وأن يحوطها بسياج قوى عن أعين الاجانب .

والاسلام اذا كان حريصا على كرامة المرأة وعرضها فهو حريص كذلك على صحتها وعلى تخليصها من الامراض والعلل .

فاذا كان فى النساء طبيبات بارعات فى الطب ، يستطعن علاجها ، ويسهل الوصول اليهن ، كان ذلك أكرم لها وأستر ، ووجب عليها حيئذ أن تذهب اليهن ، ويحرم عليها أن يراها طبيب رجل .

أما اذا كان هذا المرض لا يستطيع علاجه الا الرجال ، أو يصعب الوصول الى طبيبات ، فحينئذ يبيح لها الاسلام أن يرى منها الطبيب العدل بقدر الضرورة ما لم يبحه فى غير هذا المقام وعلى هذا يجوز للسائلة الفاضلة أن تذهب الى طبيب للكشف عليها اذا دعت الضرورة الى ذلك ، والله أعلم ...

الضمان فى البنك

لي صديق تاجر أراد أن يقترض مالا من احد البنوك ولكنه احتاج الى ضامن فهل يجوز لي أن أضمنه ؟

الاجابة

حث الله تبارك وتعالى المسلمين على التعاون فى الخير ونهى عن التعاون فيما يعود عليهم بالاثم ، فقال تعالى — وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم (الله فى عون العبد ما دام العبد فى عون أخيه) .

والتعاون فى سبيل المعيشة مما يحتمه الدين ويأمر به الا انه حرم التعاون فيما يعود بالاثم ، فاذا كان هذا التاجر الذى سيقترض المال سيقترضه بفائدة كما هو الشأن فى معاملات البنوك فهو معاملة بربا ، وقد حرم الله تبارك وتعالى الربا على آخذه ومعطيه وكاتبه وشاهده ، كما أشار الى ذلك الحديث الشريف حيث يقول النبي صلى الله عليه وسلم (لعن الله آكل الربا وموكله وشاهده وكاتبه) .

وعلى هذا فلا يجوز للسائل ضمان هذا الصديق لانه سيكون معينا له على ارتكاب الاثم وشريكا له فيه ويستطيع هذا الصديق أن يعاون صديقه باقراضه من ماله الخاص ان كان فى سعة من الرزق وبذلك يتحقق التعاون الذى أمر به الدين .. والله أعلم ...

قصة العدد

كعب بن مالك

بقلم الاستاذ محمد لبيب البوهي

بدأ الفجر ينشر أرديته الوردية على بطحاء مكة ، فيغمر الكون المنتشى بتسبيح ربه ، الخاشع فى صلاته بضوء شفيف ، وقد بدت معالم دار كعب بن مالك تتبدى تحت لمسات النور الوليد ، وقد راح كلب الحراسة ينبح نباحا عاليا متصلا ليس له به عهد من قبل ، حتى أقبلت راوية الجارية تعالج أمره ، كأنما تخاطبه فتقول : ياللك من كلب تظهر شجاعتك فى غير ميدان ، فقد عهدناك جبانا رعديدا فى حضرة اللصوص ، فيا لك من ماكر خبيث لا تستحق كسرة الصباح .

... وكان طاهر اليعقوبي الفتى المراهق ابن أحد الشهداء الراقدين فى البقيع قد انتهى من صلاته ، فالتفت اليها قائلا : ((دعيه فانه ينبح ، لأنه يرى الشيطان .. لقد دخل الشيطان لأول مرة هذه الدار .. انظرى : ان صاحب الدار لم ينهض اليوم لصلاة الفجر ، ولم ينشط لتلاوة قرآنه المشهود كعادته كل صباح ، وبذلك حق للشيطان أن يفرح ، وان الكلب ليراه ، فهو لذلك ينبح ... وذهب الفتى يقرأ بعض آيات الكتاب المبين ، وبدأ نباح الكلب يتلاشى ، وأخذت الجارية العجوز تضرب كفا بكف مذهولة مما ترى .. ثم التفتت الى الفتى وهي تغمغم : لقد أشرقت الشمس ولم ينهض السيد بعد من نومه .

فأجابها الفتى وهو يغالب أساه : ذلك ما لست أدرى له سببا .

ومالت راوية على أذنه تهمس : لقد ظل شهورا مسهدا قلقا يسعى للزواج من (أميمة) الحسناء ، التي امتنعت على كثيرين من كبار القوم ، فلما نالها حق له ان يهدأ هذه الليلة ويستريح .

قال الفتى : تعنين أن المراة قد أنسته ذكر الله .. ؟ بئس هذا الزواج اذن .. الذى يفتح الباب للشيطان .. ان هذا الشر لن يكون الأول والأخير ، فالكتاب يقرأ من عنوانه ، ولكل بداية نهاية ، واني لجد مشفق على كعب بن مالك .

ثم انصرف عنها ، والأفكار تتزاحم فى ذهنه ،



ولقد بدأ لأول مرة يتنكر للحياة فى هذه الدار التي أحبها ، والتي علمه صاحبها تلاوة القرآن ، وأسمعه كثيرا من أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم ، وكان ما ينفك يذكر له قصص الشهداء الذين رفعوا لواء الدين ، وكيف ذهبت كل أسرة تفاخر الأخرى بعدد من استشهدوا فى سبيل الحق من ابنائها ، حتى كانت تلك المعانى تملأ نفسه رضى وسعادة ، اذ يذكر أنه ابن رجل شهيد وأن أباه قد مات وهو يجاهد ، وأن ذلك الشرف عند الله والناس عظيم ، حتى كان القوم اذ يرونه يشيرون اليه معجبين يتهامسون .. هذا طاهر اليعقوبي .. انه ابن رجل شهيد ، فكانت هذه الكلمات تقع فى نفسه أكثر عذوبة مما لو قالوا عنه انه ابن قيصر ، أو سليل الأباطرة ، وانه ليعد الأيام والشهور حتى يشب عن الطوق ، وحتى يصبح أهلا للجهاد ، ولقد أحب كعبً بن مالك ، لأنه كان يتعهد هذه المعانى فى نفسه ، فيزيدها قوة وتثبيتا .

ولقد كان كعب من المجاهدين الذين لم يتخلفوا عن غزوة من الغزوات ، وكان من عادته أن يهش للفتى ، ويتبسط معه ، ويخفض له جناحه ، ويدعوه معه الى صلاة الجماعة والى تلاوة القرآن ، ولكن الفتى قد رآه فى الأيام الأخيرة منصرفا عنه لا يكاد يلقى اليه بالا ، ولقد ذهب بالأمس يسأل « راوية » الجارية العجوز عن سر هذا التحول ، فربتت كتفيه وهدهدت حزنه وقالت : لا عليك من ذلك يا طاهر فانما كان صاحبك يخلو اليك ، ويتبسط معك حين كانت حياته ملك نفسه ، أما اليوم فقد اتخذ له شريكة ذات جمال ، وقد أسكره جمالها عن نفسه وعن الناس ، فلا تدع للهم سبيلا الى نفسك ، وانما دع الأمور تجرى وفق سجيتها ، فان للزواج الجديد السعيد روعته ، وان لهذه الفتنة أجلها وان أيامها ستنتهي حتما . ما من ذلك بد ، ثم يعود صاحبك الى القرآن والى أصحابه واليك ، يستمع منك ، ويتحدث اليك ، ويفرح بك ...

قال الفتى : انى أصدقك القول يا أماه: اننـي لجد حزين ، فما كنت أحب لصاحبي أن تصرفه امرأة عن نفسه، وعن حياته ، وعن صلاة الفجر ، فقد علمني كعب بن مالك أن رسول الله صلى الله

عليه وسلم قال : « ان هــذه الدنيــا لا تعدل عند الله جناح بعوضة » فكم تعدل هذه المرأة من جناح البعوضة التي هي الدنيا ؟ واذا كان للجمال هذا الســـحر فانني لا أرى لصاحبته تلك من جمال ، وما أراها تمتاز عن بنات جنسها بشيء .. فأجابت المرأة ضاحكة : انما ذلك يا بني شيء يدعونه الحب .. فقال وهــو يعجب من قولها : ان الحب لا يمكن أن يلد الشر .

★★★

فأجابت وهي تعاود الضحك من سذاجته : عن أى حب تتحدث يا فتى .. ؟ قال .. أعنى الحب الذى هو سر الوجود .. الحب الذى هو الفنـاء فى الله وأن يحب المرء انسانا آخر من أجل الله .

قالت : يا صغيري ، ذلك شيء قلما يكون بـين الرجال والنساء ، انما يحب صاحبك امرأته لا من أجل الله وانما من أجل هذه العيون النجلاء ، ومن أجل هذا الجسد البض الناعم ، ومن أجل ذلك الشعر الذهبي المسترسل كسبائك الذهب .. انه لا يرى امرأة بين نساء العالمين تعدلها ، ولقد كان من قبل منصرفا عنها لا يعـرف غـير القرآن والصلاة ، ولقد تبدت له مرة ، فأعـرض عنها ، فعز عليها أن يفلت انسان واحد من أسر سحرها ، فأقسمت أن توقعه فى حبائلهـا ، وأن تتيه على صاحباتها ، اذ تنال زوجا عـز عليهن مطلبا ، وشغلته عبادته عن لذته وشهواته ، ولكنها كرست لذلك ذكاءها ، وان المرأة فى ذلك لخبيرة ، حتى تدله العابد فى حبها ، ومن هنا ترى الحكمة فى منع الرجال عن النساء فانما ذلك يعني حجـز الفتنة من الانطلاق ، ولقد تزوجهـا كعب بكلمـة الله ، ولكنه اذ نالها سكر بخمر الانتصار ، فدعه يا بنى حتى يفيق .

فأجاب الفتى .. وهو يهز رأسه أسفا ..

ليست هذه هي كل القصة ، انما هي بدايتها .. لقد سمعت أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « تعس عبد الدرهم .. تعس عبد المرأة .. واني أعيذ صاحبى أن يكون عبدا لامرأة .. لقد تزوجها .. وليس فى الزواج من حرج ، انما الحرج كل الحرج فى هذه الأحوال التي بدت فى هذه الدار من يومين ، فانطوى المصحف ، وخفتت أصـوات الفجر التي كانت ترتل القرآن ، وأفسحت مكانها لهذه الأغانى التي تنشدها « أميمة » آناء الليل واطراف النهار !

قالت « راوية » : لقد نسيت يا فتى أن صوت « أميمة » جميل ساحر ، فهى تتغنى به قال طاهر ليس الذنب ذنبها ، وانما هو ذنب كعب ، فلـو أنه علمها القرآن لوجدت له فى صوتها هذا الجميل حـــلاوة ..

وانه ان لم يفعل ، وان لم يبسط على امرأته ظل شخصيته ، فهيهات أن تسعد بضعفه، وسيندم حين تنفلت عن طاعته ، فانما بكل امرأة ضعف ، وانما الرجل مكلف بتكملة ضعفها وارشادها الى واجبات دينها .

فأجابت راوية .. يا لك من فيلسوف صغير

قال : كلا يا أماه ليست هذه فلسفة ، وانما هي الرجولة ، وهي تعاليم الاسلام ، وقد قـــال الرسول صلى الله عليه وســـلم كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته .

وسكت قليلا ثم أردف وهو يتحول الى داخـل الـدار :

ليس لي أن أقيم بعد اليـــوم فى دار دخلهـا الشيطان ، وأنا ابن رجل مات شهيدا .. اني راحل .. قالت الجارية . الى أين ؟ فأجاب : الى الله .. الى وجهه الكريم فى هذا الفضـــاء العـــريض .

فأمسكت به راوية وقالت : انـك فتى قــد تأدبت بآداب الاسلام ، فما يليق بك أن ترحـــل

حتى ينهض صاحبك ، وحتى تلتمس منه الاذن بالرحيل .

فغمغم بصوت كظيم : سانتظر حتى ينهض السيد مع الضحى .

★★★

تنفس الصبح ، وراحت الشمس تعتلى كبد السماء ، وما يزال الفتى يرقب فى حسرة نافذة حجرة كعب ينتظر فى لهفة مجنونة أن يسمع صوته حين ينهض من النوم ، وظل يرتب فى ذهنه هذه الكلمات القلائل التي سيتحدث بها اليه يشكره على فضل رعايته ، ويطلب اذنه ، كي يذهب مع الذاهبين الى الجهاد . فقد علم أن النبي صلى الله عليه وسلم يتهيأ لغزوة جديدة ، وأنه قد أمر الناس بالاستعداد . وانه ليحلم منذ أمد طويل بهذا اليوم لينال الشرف الذى ناله أبوه من قبل ، كما ناله هؤلاء الذين ترقد أجسادهم الآن فى البقيع ، وفى غير البقيع بينما تسبح أرواحهم فى جنات الله ، وترد حياض الجنة على هيئة طيور خضر تأكل من ثمارها وتأوى الى ظلالها ، أولئك الذين قال الله فيهم : « ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله اموانا ، بل احياء عند ربهم يرزقون ، فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم الا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، يستبشرون بنعمة من الله وفضل وأن الله لا يضيع أجر المحسنين » .

وظل الفتى سابحا فى أفكاره تلك ، حتى جاءت الجارية العجوز تدعوه الى السيد الكبير ، فذهب الفتى ، وعليه من الهم علامات لم يخطئها كعب بن مالك الناقد الخبير ، فتلطف اليه ، وتبسط كعادته وقال : كيف أنت يا غلام ؟

انني على شر حال أيها السيد !

قال كعب بن مالك وهو مأخوذ : ولمَ .. ؟

قال : لقد كنت أصلى الفجر مأموما بك كل صباح ، أما اليوم فقد انتظرتك طويلا ، ثم صليت وحدى قبل أن تبزغ الشمس .. ففام وجه كعب ، وتلعثم لسانه ، وقد رأى صبيا يافعا يذكره بأمر دينه ، فلم يدر بماذا يجيب .

وتكلمت أميمة الجميلة تريد أن تلتمس لزوجها عذرا ، فقالت وهي تعالج الضحك: انما هذا هو الصباح الأول يا فتى لزواجنا .. فأغضى طاهر حياء ، ثم لم يحر جوابا .

كان بوده أن يقول لا بورك فى زواج ينسى المرء واجب ربه ، ويخرجه عن طاعته ، انما الزواج نعمة يسوقها الله وانما من حق النعمة شكر المنعم عليها .. كان بوده أن يقول هذا ، ولكن الحياء شل لسانه .. والحياء على كل حال طبع كريم ، فهو شعبة من شعب الايمان، ولذلك أغضى الفتى ، ولم يتكلم ، وجاءت راوية بعد قليل تعلن الى سيدها أن بالباب أعرابيا قد تقدمت به السن ، واستبد به الضعف وبان عليه الهزال ، وقد ظننته طالب صدقة ، فبذلتها له ، ولكنه أعرض عن الصدقة والطعام والشراب وقال : انما هو على سفر ، وانما يريد أن يراك .

البقية فى العدد القادم

من فراغ ، فلا تتخلخل الجبهة ولا يضطرب أمر القائمين بالتنفيذ .

ومن شأن ذلك أيضا أن يضيق من المسافات التي تفصل بين الرؤساء والمرؤوسين ، اذ ترتفع معنويات المرؤوس فيطمح الى درجة أعلى ، فيضاعف من جهده لتحقيق غايته المشروعة تلك ، وينعكس ذلك كله على الانتاج زيادة وتحسينا ، وتتحقق المصلحة العامة على خير وجه .

على أن الحوافز الروحية المنبثقة من العقيدة الاسلامية السمحة كانت أهم العوامل والدوافع التي رفعت الروح المعنوية فى نفوس المسلمين ، فكان كل صحابي يتفانى فى سبيل كسب مرضاة الله ورسوله والمؤمنين ، فلا يدخر وسعا فى بذل كل جهد لخدمة الجماعة ، حتى كان ذلك البذل يسمو الى مرتبة الاستشهاد .

وكان السبيل الذى اتبعه الرسول عليه السلام لارساء أسس القيادة الحكيمة هو : افساح المجال أمام أصحابه للتجربة فى ميدان الحكم والادارة . فمن خلال التجربة تكتسب الخبرة وتزيد الكفاءة وتنجز أعظم الاعمال . فلا غرو أن كاد دأبه ـ عليه الصلاة والسلام ـ الحث على اعمال الفكر وممارسة حرية الرأى .

لقد هدى الله نبيه الكريم الى أقوم أسلوب فى التعامل مع الناس أعداء وأنصارا على السواء حتى دخل العرب فى دين الله أفواجا . وبقيام الدولة الاسلامية الاولى فى المدينة برئاسة النبي صلى الله عليه وسلم ، أخذ عليه السلام يدعم بنيانها ، ويوطد أركانها بما وهبه الله من مآثر القيادة الناجحة ومقوماتها ، فعلم المسلمين حسن السلوك ، وعلم ولاته حسن الادارة ، وعاونهم بعظاته ووصاياه فى تطوير أنفسهم لتحقيق الخير والرفاهية للجماعة ، وتكييف سلوكهم بما يتفق مع القيم الاسلامية المثلى . لقد لقنهم ـ بالقول والفعل ـ هذه التعاليم وعودهم على اتباعها ، حتى رسخت فى وجدانهم فلقنوها الرعية ، وفى مقدمة هذه المبادىء الشعور بالمسئولية تطبيقا لقوله تعالى :

((كل امرىء بما كسب رهين))

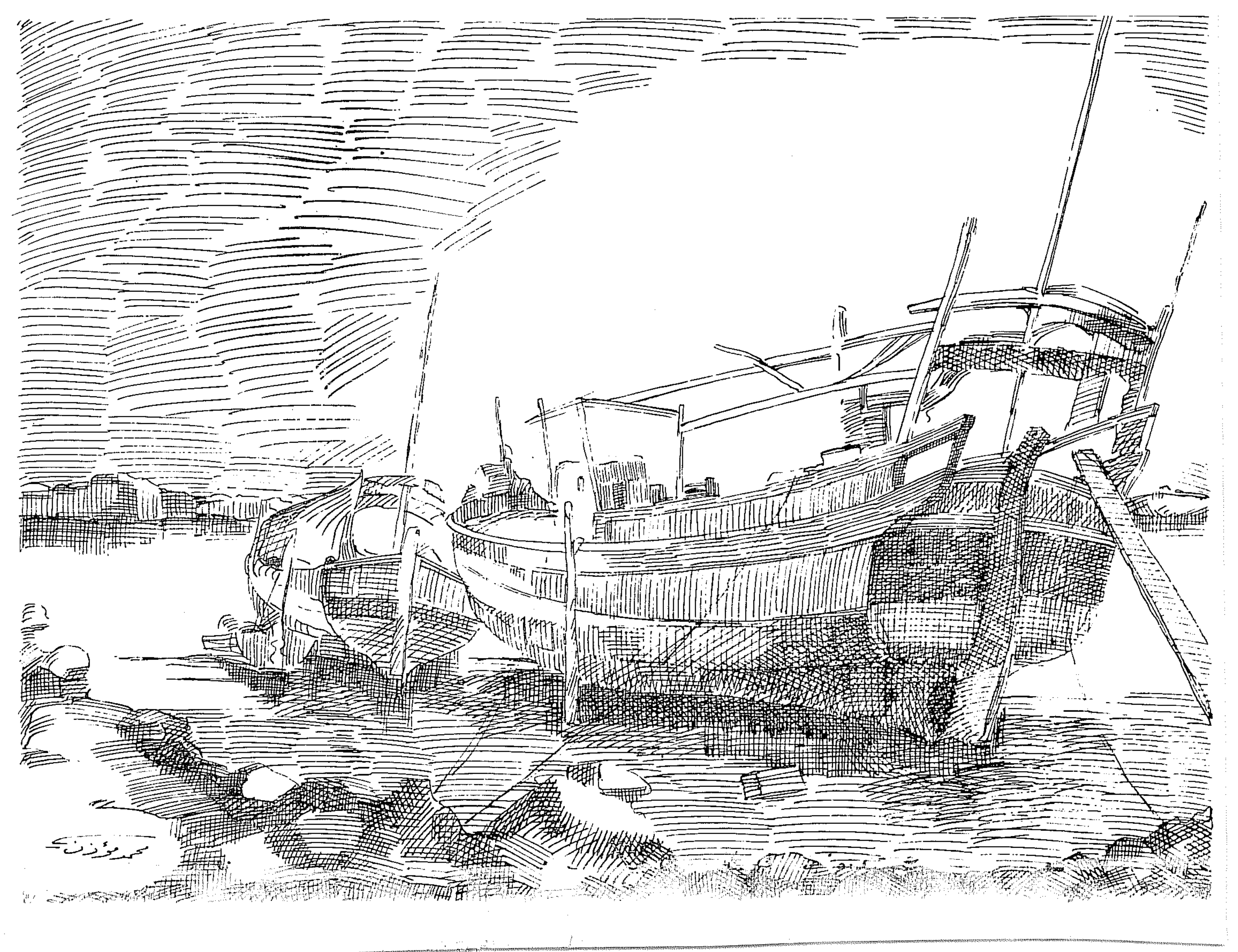
وقوله عليه السلام :

((كلكم راع ، وكلكم مسئول عن رعيته))

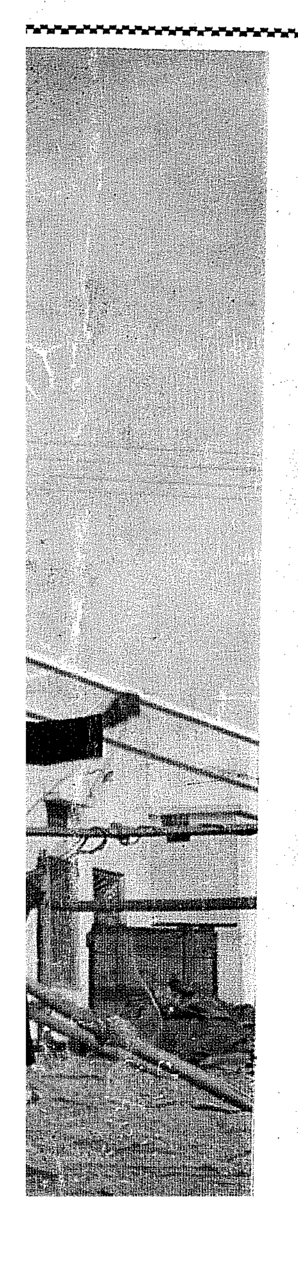
وكانت عملية نقل الأفكار وتأصيل القيم تتم عن طريق المناقشة الحرة المفتوحة والحوار الفكرى المستنير ، وبذلك استطاع القائد الادارى العظيم أن يدرب المسلمين على السلوك الديني والاجتماعي والادارى السليم .

فالرعية تحسن معاملة بعضها البعض فى مودة ومحبة وايثار ، والراعي يعامل الرعية بالعدل والمساواة ، ويحسن التصرف فيما يعرض له من مواقف ، وما يواجهه من مشكلات ، وهو يستجيب لمطالب المحكومين بما يرضي الله ورسوله ، ويلتزم الحزم فى اقامة حدود الشريعة الغراء ، ولا يجنح الى التفرقة ، أو الهوى والغرض .

فلا غرو ان ينجب الاسلام جيلا بعد جيل من القادة الصالحين ، وان تواصل هذه العناصر القيادة الدعوة لدين الله فى ايمان لا يتزعزع ، وثقة بالله لا تضعف ، وشعور بالمسئولية لا يهن ، حتى ارتفعت أعلام الاسلام فى كل مكان وامتدت تعاليمه وثقافته الى مختلف أرجاء العالم ، وتحققت على ايدى هؤلاء الرواد والأبطال هداية الناس الى الحق والخير والسلام ، وما زالت شريعته السمحة وحضارته الخصبة الزاهرة منارا لأبنائه ، ولكل من يتطلع من البشر الى المعاني الفاضلة ، والقيم الروحية الرفيعة .



على
شاطيء
الـكويت



إقرأ في هذا العدد :